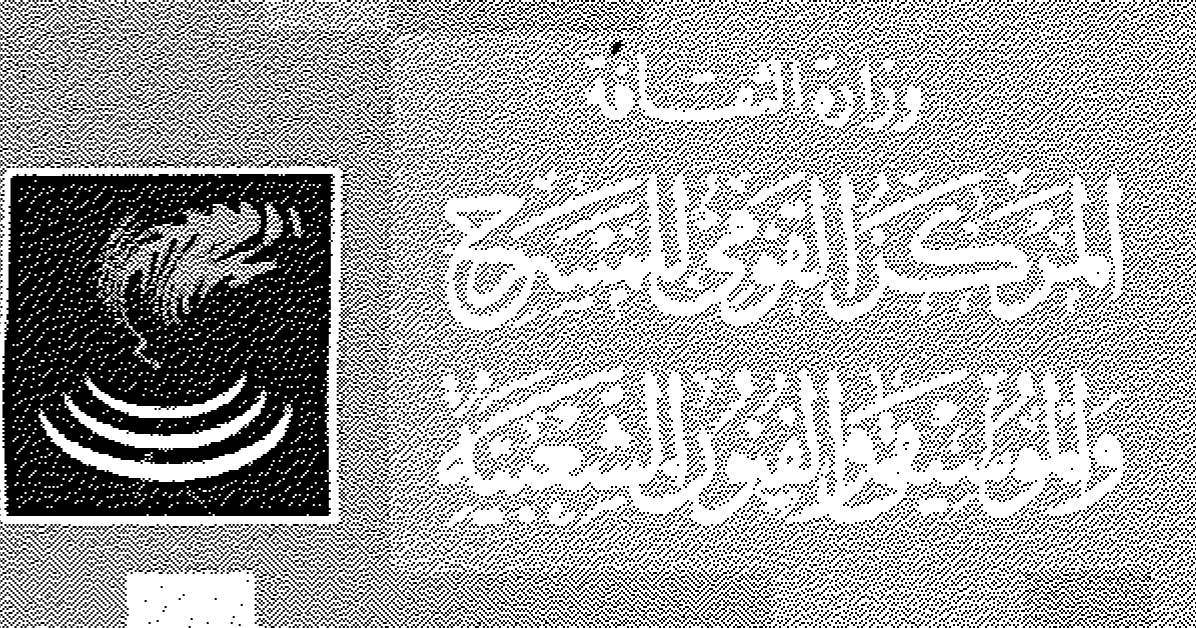
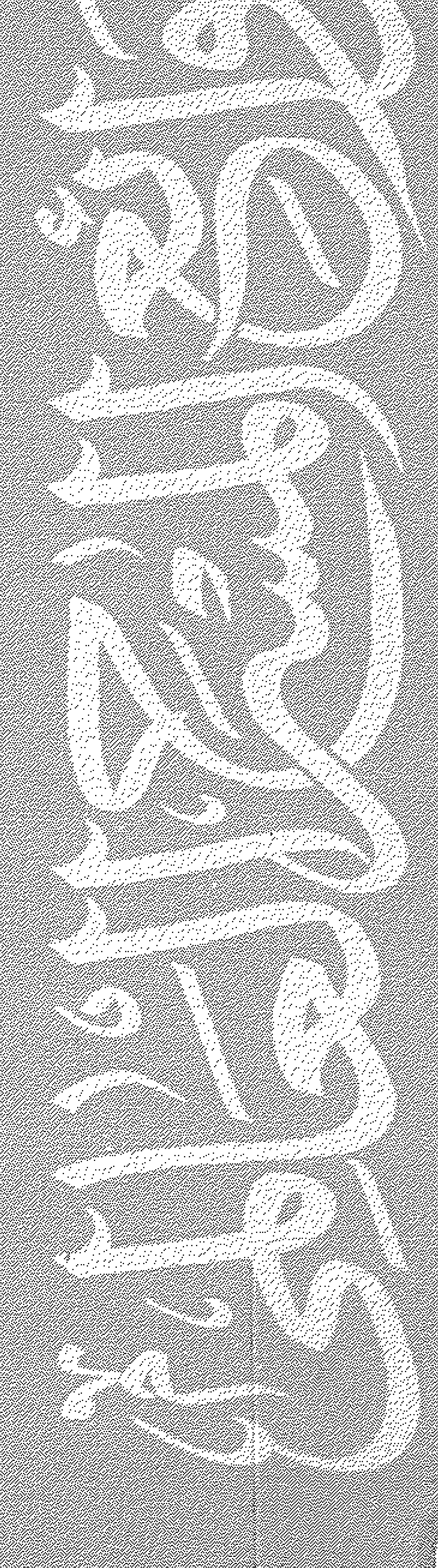
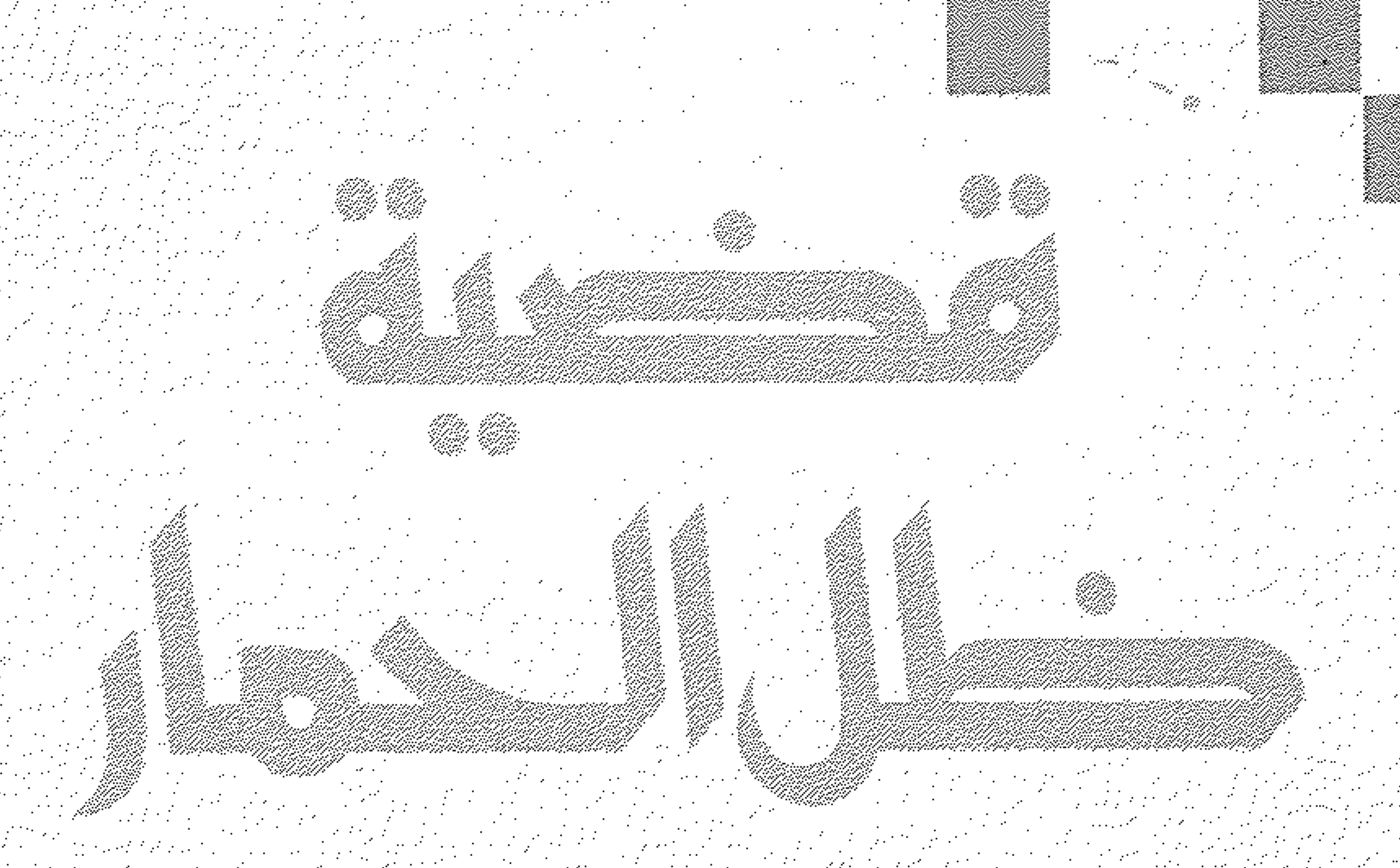




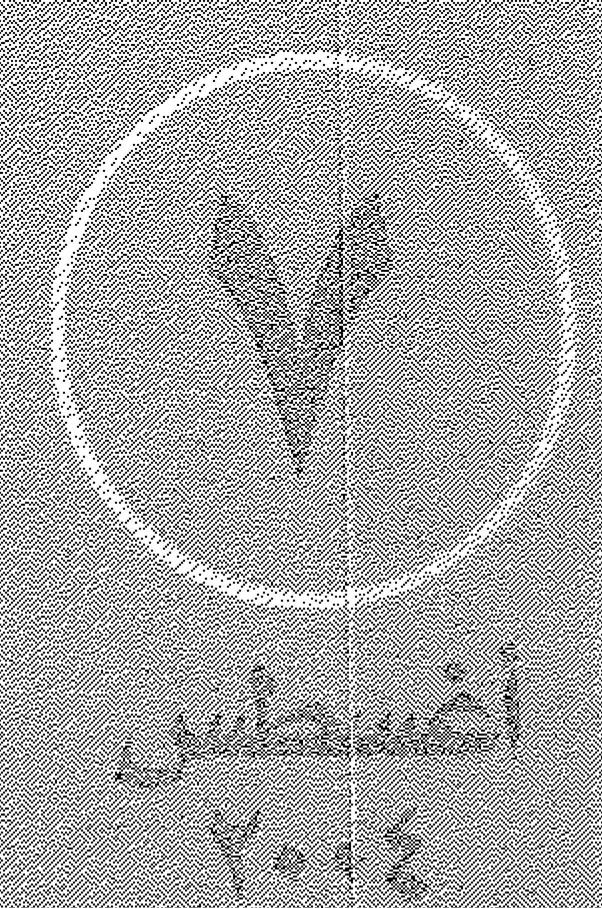


قضية ظل الحمار

تأليف: فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم: د. محمد يسري خميس

مراجعة: أ.د. باهر محمد الجوهري



قضية ظل الحمار

"عن كريستوف فيلاند"

تأليف : فريدريش دورينمات

ترجمة : يسرى خميس

مراجعة : باهر محمد الجوهرى

MINISTRY OF CULTURE
NATIONAL CENTER
FOR DRAMA, MUSIC
& FOLKL ORIC ARTS



سلسلة روائع المسرح العالمى

تصدرعن المركز القومى للمسرح والموسيقى
والفنون الشعبية

وزارة الثقافة

المسرح..
حوار الإنسان مع الوطن والعالم

فاروق حسنى

وزير الثقافة

من أين أتى هذا الإنجاز المصرى الهائل - فى كل فنون العرض المسرحى كتابة وإخراجاً وتمثيلاً وتشكيلاً وموسيقى - إن لم يكن مصدره معادلة خالدة لا تتجزأ هى: حوار الإنسان مع الوطن وسط دائرة أكبر هى العالم.

تلك التى فى تضافرها واتحادها وتفاعلها لا تزال تعطى ولا تتوقف عن العطاء. ففى ظل لافتة شعارها .. البحث عن الشخصية المصرية.. تنقيباً عن لحظة أن دخل إلى مصر وليداً ونهضوا به اقتباساً وإعداداً وترجمة حتى وصل إلى أن أصبح الآن مصرى الملامح، عربى الأحلام والهموم، عالمى المشاركة والتثمين والتقييم فى لحظتنا الحاضرة. وبما يعنى - وبكل تأكيد- أنه وهو الآخر قد تعرض لفعل الثورة فثار. ولفاعلية التحديث والتطوير فحدّث وطور مثلما واجه ضرورة المواكبة وصدق التعبير وأمانة التمثيل؛ فواكب وعبر ومثل المجتمع الإنسانى عاكسا ما يعانيه عارضا ومتعرضا لما يعايش، مستشرفا ما يحلم به

أن يتحقق ثم فارضاً ما نريده أن يكون؛ حتى فاق إنجازه فى عصر مصر الحديثة مساحة الزمن المعطي له - هو وغيره من الفنون- كما قفزت معدلات عطائه ونضجت وتنوعت مع ثورة يوليو ١٩٥٢ إلى أن وصلت إلى ما نعيشه الآن من تدفق راق فى الإبداع وحرية فى التعبير ضمن عملية تثاقف مستمر مع العالم وحوار لا يتوقف مع حضارته: مؤثر ومتأثر .. قائل ومستمع، آخذ ومقابل بالعطاء!

فإلى هذا الجدل الثقافى المتحضر الخصب .. إلى صناعته والمستفيدين منه نتوجه بهذه السلسلة من إصدارات المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية مستفتحين ومستبشرين باستهلالها بالترجمة التاريخية الفريدة لرائعتى سوفوكليس بقلم عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين سيراً على طريق التنوير وإضافة مخلصة لإنجازات رواده.

هذه السلسلة

أ.د. سمير سرحان

من المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية تواصل وزارة الثقافة المصرية إشعاعاتها لكي تضيء هذه المرة مقدمة سلسلة «روائع المسرح العالمى» واضعة بين يدى القارئ العربى فى كل شهر عملاً جديداً تنتقيه من قائمة إبداعات العالم الدرامية؛ ناقلة إياه إلى لغتنا الأم، وقد تعهدته أقلام متمكنة لصفوة من الأساتذة المترجمين، وراجعته أقلام خبيرة، وأشرفت عليه لجنة أسماؤها متميزة في حقول لغات العالم وآدابها ملتزمين بأن تكون الترجمة عن الأصل الأجنبى مباشرة وأن يكون صاحبها ذا خبرة بترجمة الدراما والإحساس بحوار المسرح وجوه وإيقاعه.

أما الهدف النهائى فهو حركة مسرحية نشطة وفاعلة تستقبل إضاعتها من شتى الاتجاهات والمصادر كما تعكس إشعاعاتها على العالم مؤكدة أن مصر لاتزال معطاءة ومبدعة وأن حوارها مع العالم مثمر ومتصل.

مقدمة

دروينمات قارة لم تكتشف بعد

" عند الاغريق كانت الأشياء محددة أما الآن فنحن نعيش فى اللا ممكن حيث كل شيئ حولنا يفتقد الجوهر والمعنى هناك مؤسسة الدولة والدين والفن لكنها مؤسسات غير مترابطة تسيطر عليها الشكلية ويضيع فيها الجوهر لذلك أصبحت مهمة الفن أن تخلق مكاناً بالعقل تتحدد فيه الأشياء وتترابط هذا وإلا سيتحطم كل شيء وينهار."

هذا ما قاله الكاتب المسرحى الكبير فريدريش دورينمات، فمنذ أن فتح لنا البوابةالأستاذ المعلم عبد الرحمن بدوى بترجمته لمسرحية"علماء الطبيعة " عام ١٩٦٣ والتى قدمها على المسرح فى نفس العام المخرج فاروق الدمرداش، توالت عروض مسرحياته بدرجة ملفتة، حتى وصلت على يد فرق الهواة إلى أقصى أقاليم مصر

كتب دروينمات " ١٩٢١ - ١٩٩٠ " تسعة عشر مسرحية وثمان تمثيليات إذاعية، ترجم أغلبها للعربية فى مصر، كما قدم العديد منها على خشبة المسرح المصرى - حقيقة -، لم يلق رجل مسرح هذا الاهتمام لتقديم نصوصه وعروضه فى مصر سوى وليم شكسبير وبرتولت بريخت.

فما أن جاء دروينمات إلى مصر أوائل الستينات، فى خضم تحول

إجتماعى عنيف، بمسرحه القائم على عرض التناقضات التى تملأ الواقع الانساني، والسخرية منها باسلوب تهكمى مرير، حتى كان المزاج المصرى أرضاً خصبة لاحتوائه وإنماءه وإزهاره وإثماره، فتلقف مسرح دروينمات بحب خاص وانطلق ترجمة وعروضاً حتى يومنا هذا، فعندما يعجز الإنسان عن تغيير الواقع، ويحس بأنه وحش متعدد الأطراف والزوائد، أو قدر باطش لاحول له ولا قوة فى مواجهته - عندئذ لا يملك الإنسان إلا أن يسخر منه. وهنا تكون السخرية هى الإمكانية الوحيدة لموقف - فعل إيجابى يتضمن درجة عالية من الوعى. وفى إطار الضغوط التاريخية المتعددة الاشكال والالوان على مر القرون، وسط مناخ متقلب الملامح، تشكل " المزاج المصرى " واكتسب قوة هائلة على السخرية، تصل به فى كثير من الاحيان إلى حد السخرية من نفسه.

لن نتوقف عند نشأة دورينمات وسرد عناوين أعماله الدرامية من مسرحيات وتمثيليات إذاعية وروايات العديدة ودراساته النقدية وأشعاره ورسوماته لكننا نرجع القارئ المهتم إلى مقدمات الأستاذ المعلم عبد الرحمن بدوى والاستاذ الكبير أنيس منصور والفنان سعد الخادم، والدكتور مصطفى ماهر، للمسرحيات التى قاموا بترجمتها والتى غطت أغلب تلك الجوانب، فلقد رأيت أنه ربما يكون أكث فائدة وأهمية أن نتعرف على بعض أفكار دورينمات عن المسرح والحياه يقول دوينمات :

العالم بالنسبة لى، لغز مرعب لاحل له

لا مفر من أن أواجهه

فالعالم أكبر بكثير من الإنسان

فليس لى الحق

ولا أمتلك القدرة لأن أقف خارجه

إن المسرح، أداه أحاول أن أكتشف قدراتها وطاقاتها عن طريق اللعب بها. إن مادتى هى العالم، خبراتى وممارساتي فى الحياه، مواجهتى له مسرحى كعالم مضاد - فى مواجهة العالم، أقوم من خلاله بالهجوم على العالم

على الفن أن يخالف العالم، حتى يمكن قياس مدى صحة الأفكار السائدة على المسرح أن يستفز وأن يفضح وأن يزعج.

الكتابه عندى لا تبدأ من اللغة، هى فكرة وبناء وجهد للوصول لمفهوم معين، صورة، صورة مرئية عندى لا تخضع للفكرة، بل الفكرة التى تخضع للصورة.

الخامة " الصورة " تحتاج لترشيح وتشكيل، يحدث ذلك بشكل مستمر حتى تصل لمرحلة اللغة واختيار اللغة المناسبة.

السياسة ليست عادلة، والعدل غير موجود فى العالم.

لقد ولد علم الإنسان ومعارفه زيادة هائلة، لكن قدراته الأخلاقية ظلت على ما كانت عليه فى العصر الحجرى.

لا أعتقد أن الدنيا لا معقولة، لكننى أعتقد أن ما فعله الإنسان

بالدنيا، وكيف شكل حياته، وماذا يصنع بالأرض... كل هذا لا يمكن إعتباره إلا كوميديا فالكوميديا وحدها هى التى تناسبنا . اما التراجيديا فيفترض أنها تخاطب مجتمعاً حقيقياً، الشئ الذى أصبح وجوده فى أيامنا أكذوبه محرجة.

فالكوميديا تنشأ من وضع المفارقات والمتناقضات التى تمتلئ بها حياة الإنسان على المسرح ومواجهتها. إنها تعرض فوضى العالم الذى لا ملامح له، تخلق نظاماً من الفوضى

كما أنها تكسر حواجز الغربة بين المسرح والجمهور وتحول الجمهور بسهولة إلى كتلة يمكن أن تهاجم وتستدرج لسماع أشياء لا تود أن تسمعها فالكوميديا تراقب الجموع بعين نقدية. الكوميديا أشبه بمصيده الفئران، التى تثير شهيه الجمهور فيعود دائماً إليها.

إن طغاه هذا الكوكب تراقب لا تؤثر فيهم أعمال الكتاب فأشعار المعاناه والشكوى تدفعهم إلى التثاوب وأغانى الأبطال يجدونها حواديت تافهة، ويغلب عليهم النعاس عند سماعهم الأناشيد الدينية شئ واحد فقط يزعجهم ويخيفهم : السخرية!!

لقد حول دورينمات المأزق السويسرى " اللا مبالاه المطلقة" تجاه ما يحدث فى العالم " إلى مخرج العالم على القضايا الكلية للواقع الإنسانى، إلى إنفتاح شجاع على مواجهة العالم وكشفه وتعريته وفضحه والسخرية منه. فبقدر ما هو محلى التفاصيل، بقدر ما هو إنسانى الطرح، مما جعل لمسرحه صدى وتجاوباً ومذاقاً خاصاً فى مناطق

كثيره من هذا الكوكب، من نيويورك وحتى الصين - حيث استقر فى تاريخ المسرح كمسرح متفرد يطرح بشجاعة قضايا القرن العشرين دون مواربة فبعد زيارته لإسرائيل، أكد دورينمات : " أنه مؤمن إيماناً كاملاً بحق الفلسطينيين بوطن قومى لهم. وأن حرية اليهود لا يمكن أن تتحقق دون أن تتحقق حرية العرب. وأن هناك مكاناً للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية وكان يمكن للدولتين أن تقيما دولة علمانية واحدة فيها العرب وفيها اليهود وأنه لم يتصور أن يكون فى مقدورهم أن يتحدثوا عن معتقلات أوسشفيتز فهم يستخدمون مع الفلسطينيين نفس أساليب الجستابو "

عن دراما «قضية ظل الحمار» :

أخذت هذه الدراما الإذاعية عن رواية تخييلية للكاتب الألمانى كريستوف فيلاند "1831 -1733" Christoph Wieland **بعنوان "أهل آبديرا - قصة محتملة الحدوث**

Die Abderiten - eine sehr wahrsceinliche Geschichte

ويعتبر فيلاند من كتاب الرواية الملحمية التى تتميز بأسلوبها الحسى الماجن والبهيج، وتعتمد على الحواديت الشعبية وقصص الحوريات والفروسية، وتقترب أعماله من الكلاسيكية الإنسانية، حيث تهتم بالنموذج المثالى، الذى يتحقق فيه التوازن والانسجام الحسى والعقلى.

وقد قام دورينمات بكتابة الدراما الإذاعية في الفتره بين ١٩٥١ إلى ١٩٥٦ بناءً على تكليف من إذاعة برن السويسرية، أغلب الظن بسبب ضائقة مالية كان يعاني منها المؤلف، بعد أن قطع دراسته الأكاديمية ولم يستكملها، وبعد أن صار أباً لثلاثة أطفال، قرر أن يعيش ككاتب حر، وقد كتب دورينمات في تلك الفتره " وقبلها " الأعمال الإذاعية التالية نسردها تبعاً لتسلسلها الزمني.

الشبيه ١٩٤٦	Der Doppelganger
قضية ظل الحمار ١٩٥١	Der prozess um des Esel Schatten
محادثة ليلة مع إنسان محتقر ١٩٥١	Nachtliches Gesprach mit einemverachteten
شترانتسكي والبطل القومي ١٩٥١	Stranitz ky und das Nationalheld
هرقل وزريبة أوجياس ١٩٥٤	Herkules und der Stall des Augias
مشروع كوكب الفيجا ١٩٥٤	Das Unternehmen der Wega
العطل ١٩٥٥	Die panne
ساعة في مساء أواخر الخريف ١٩٥٦	Abendstunde im Spatherbst

ومن الملاحظ أن الدراما الإذاعية كشكل فني قد استهوت في تلك الفترة الكثير من كبار الكتاب والشعراء في أوروبا مثل جونتر آيش، برتولت بريخت، الزه آيشنجر، انجبورج بخمان، ماكس فريش، صمويل بيكيت، واوجين يونيسكو وآخرين.

ولم يتوقف دورينمات عن الكتابه للمسرح أثناء إنشغاله بالكتابه للإذاعه فقد إنتهى في تلك الفتره من كتابه مسرحيات هامة مثل

مكتـوب " **في السمـاء** " ١٩٤٦، " **الأعـمى** " ١٩٤٧، " **رومـولوس العظيم** "، ١٩٤٨ **زواج السيد مسيسيبى** " ١٩٥٠ وكانت محاولته الأولى للكتـابه للمسـرح عـام ١٩٤٣ بمخطوط لم ينشـر تحت اسم " **كوميديا** "

اتبع دورينمات فى دراما " **قضية ظل الحمار** " قـواعد الدراما الأرسطية الكلاسيكية بوحداتها الثلاث ــ المكان والزمان والحدث، بشكل غير تقليدى، فرغم تعدد الأمكنة التى دارت فيها الأحداث (السوق، الحى البورجوازى، قاعة المحكمة، بيت الحمار، بيت الشغالة، بيت الراقصة، بيت كبير الكهنة، سفينة القبطان، ميناء) إلا أن الأحداث كلها تدور فى بلدة أبديرا ورغم ازدحام العمل بسبعة وثلاثين شخصية إلا أن بساطة الحدث وتطور الموقف وتدرجه ونموه وتصاعده وتشابكه وتعقده بشكل منطقى أدى إلى استبعاد أى تشوش أو تشويش محتمل لمتابعة ما يحدث وما يود أن يقوله الكاتب من خلاله

فالمكان الذى اختاره دورينمات وهو بلدة أبديرا ــ تلك البلدة الواقعية والافتراضية فى نفس الوقت، واقعية بمعنى : أنها كانت موجودة بالفعل فى التاريخ القديم قبل الميلاد، فهى بلدة اغريقية قديمة تقع فى مقاطعة ثرازيا، وقد عاش فيها الفيلسوف ديموقريطس والسفسطائى بروتاجوراس، وافتراضية بمعنى : أنها لم يعد لها وجود فعلى الآن، إلا داخل الدراما مما يجعل تلك البلدة " أبديرا " تفقد خصوصيتها وتمثل عندئذ كل البلدان، تصير رمزا مجردا، مما يضع

الأحداث على مسافة بعيدة، تبيح للمتلقى رؤية ما يحدث بشكل موضوعى، يتفرج عليه ويتأمله ـــ تلك المسافة التى يعمل فيها الفكر ويثار، فيتفق ويختلف ويفهم ويعى ويكون رأياً ما ـــ وهذا ملمح من ملامح المسرح الملحمى الحديث كما وضع أسسه برتولت بريخت تلك البلدة الافتراضية الواقعية البعيدة فى التاريخ يجد فيها المتلقى نفس ملامح البلدة التى يعيش فيها، بنفس تركيبتها الاجتماعية وصراعاتها الطبقية والدينية والسلطوية، بل يرى فيها الصفات البشرية الأساسية من حماقة وسخف وقصر نظر وحب وشهوة، تلك الصفات التى تنسج من الحياة قماشة من نوع ردىء.

واختيار بلدة أبديرا كمكان يربطها فى نفس الوقت بالزمن السحيق قبل الميلاد، أثناء الحرب البولينيزية (٤١٥-٤١٣قبل الميلاد) فى مرحلة سقوط أثينا على يد البرابرة القوطيين وصعود اسبرطة ـــ مما يؤكد مرة أخرى على أهمية وجود تلك المسافة الزمنية الفاصلة بين الأحداث وبين المتلقى كعنصر من عناصر (التغريب) البريختية لإعطاء المتلقى مساحة للتأمل والفهم.

وقد كان الحدث / الموقف فى " **قضية ظل الحمار** " سخيفاً وتافهاً لدرجة تتجاوز كل منطق عبثى. طبيب الأسنان أستروثيون يضطر لتأجير حمار حتى يذهب للبلدة المجاورة لعلاج أسنان تاجر العبيد، ولشدة حرارة الجو أثناء الرحلة يقرر طبيب الأسنان أن يستريح قليلاً فى ظل الحمار، فيتوقف ويجلس فى ظل الحمار، وهنا يعترض

صاحب الحمار بشدة ويطلب منه أجراً إضافياً مقابل ظل الحمار، فلقد اتفقا على تأجير الحمار وليس على ظله! واختلفا اختلافاً مستحكماً لا حل له ولا تنازل فيه، وقررا قطع الرحلة والرجوع ثانية إلى قاضى آبديرا حتى يحكم بينهما ويفض النزاع. وتفجر الموقف بالتدريج وانقسم أهل البلدة نصفين : نصف مع الحمار (حزب الظل __ الفقراء) والنصف الآخر مع طبيب الأسنان (حزب الحمار __ الأغنياء) واختلفا واحتدا واشتبكا وتصارعا حتى وصل الأمر إلى حرق البلدة عن آخرها. لقد بنى العمل كله على موقف تافه، أدى إلى كارثة دمرت الحياة __ موقف نموذجى للجروتسك الهزلى الساخر، المنهج الذى يستخدمه دورينمات بقدرة محكمة فى جميع أعماله

ورغم أن "**قضية ظل الحمار**" تعتبر من كتابات دورينمات الأولى (١٩٥١) إلا أنها تحتوى على الرؤية الدورينماتية للعالم فى طزاجتها وحدتها وسخريتها المريرة، والتى استمرت فى أغلب أعماله الدرامية التالية بتنويعات متعددة، والتى تحتوى على الخصائص المميزة لتصوراته عن العالم والوضع الكارثى الذى يسيطر عليه.

ملمح أساسى فى أغلب أعمال دورينمات، نراه بوضوح فى هذا العمل، وهو : غياب البطل الفرد وعرض المجموع (جموع أهل البلدة) كبطل درامى بالمعنى التقليدى، لكن البطل هنا مهزوم فى البداية ومهزوم فى النهاية، فهو يحمل بذور سقوطه المأساوى نتيجة التعصب والحماقة وغياب الوعى، الذى يؤدى إلى تدمير كل شىء،

فالشخصيات هنا تمثل الأقطاب المتضادة التى تفجر الشعلة عند تلامسها وتضيء الموقف وتكشف أبعاده. والجموع دائماً هناك فى حالة حضور مستمر حتى إن لم يظهروا بشكل مادى، والأفراد الذين تحركهم دوافعهم الفردية لا يمثلون شخصيات إنسانية مركبة، لكنهم رغم أن هذا البطل (الجموع) بطل لا يمتلك مقومات البطولة، بل يمتلك قدراً من الحماقة المذهلة والخيبة التى تودى به بالضرورة إلى الدمار والهلاك وفى " **قضية ظل الحمار**" يستخدم دورينمات هذه البنية الدرامية بهدف تجسيد وفضح مؤسسات المجتمع الرأسمالى المختلفة فمن خلال ذلك الخلاف التافه الأحمق بين طبيب الأسنان والحمار، كشف المؤلف من خلال تطوره طبيعة الصراع الطبقى لمجتمع آبديرا، حيث انقسم أهل البلدة بوضوح إلى قسمين : الأغنياء والمستفيدين من الوضع الاجتماعى القائم مع طبيب الأسنان فى مواجهة الفقراء فى صف الحمار ــ انحياز طبقى واضح لا لبس فيه نراه واضحاً فى حى الأثرياء الذى يسكن فيه الطبيب والغرفة الحقيرة التى يعيش فيها الحمار وزوجته وابنتهما وظروف الحياة الصعبة وحماقته وتورطه فى الصراع حول الحمار وظله، للدرجة التى يضطر فيها الرجل لبيع ابنته وتأجير زوجته كخادمة فى بيت أحد الأثرياء، لاحتياجه الشديد للمال لدفع أجر المحامى فى الجولة الثانية من القضية.

كما أدى ذلك الخلاف إلى تعرية (العدالة) وغيابها الحقيقى بالشكل المطلق الذى نتشدق به وانحيازها دائماً فى صف ولمصلحة

الطبقة المسيطرة (البورجوازية هنا) التى تمثل قوة اجتماعية مؤثرة، فالمحاميان المتحمسان لضرورة استمرار المحاكمة تحت كل الظروف، وتحت مقولات عامة مضللة، كالدفاع عن الكرامة، وأن المسألة مسألة مبدأ وتحقيق العدالة أو أن القضية قضية الدفاع عن البروليتاريا، لا يعنيهما فى حقيقة الأمر سوى أتعابهما واستغلال الزبونين. حتى القضاة العشر، ينقسمون قسمين ويرتشون ويعملون فى الظلام ــ دورينمات يفضح ممارستنا العملية للعدالة بشكل يدعو للخجل ويصل بالموقف إلى ذروته عندما نرى هذا الخلل المشين فى المؤسسة الدينية، التى ترتبط بوضوح هى أيضاً بالتقسيم الطبقى الاجتماعى، فهناك معبد للفقراء وهناك معبد للأغنياء، يمارس كل منهم طقوسه الدينية على حدة، وأوصل دورينمات الموقف إلى درجة عالية من السخرية المدهشة، عندما تزور غانية البلدة الجميلة كبير الكهنة (أحد القطبين الدينيين) فى صومعته بعد منتصف الليل، ويطلب منها أن تتعرى أمامه وتتخذ أوضاع آلهة الإغريق!! ويكشف دورينمات إلى أى مدى يمكن أن يصل التعصب الدينى بالبشر الحمقى، حيث يدمرون الحياة فى هوسهم الأعمى.

وفى مشهد المحاكمة النموذجى لطرح الأفكار المتناقضة ومواجهتها ببعضها، يتضح الانحياز الطبقى والانتهازى المباشر، حيث يقف رئيس جمعية السياحة ورئيس مجلس المدينة ورئيس إتحاد الحرفيين فى صف طبيب الأسنان مدافعين عن مصالحهم ومكاسبهم، بينما يقف ممثل حزب

العمال البروليتارى مدافعاً عن الفقراء والحمار بشعارات راديكالية جوفاء مثيرة للسخرية والضحك، بينما يدافع رئيس جمعية الرفق بالحيوان عن الحمار وليس عن الإنسان. ويبرز فى هذا المشهد شخصيتان هامتان، أولهما شخصية الرأسمالى مدير شركة المرمر الذى لا يهمه سوى تغطية آبديرا كلها بالمرمر حتى تدخل العصر الجديد، وتتزايد أرباحه، ثانيهما شخصية تاجر السلاح الذى يرسل خطاباً عملياً مهذباً لكل من الطرفين المتناحرين، يحيطهم فيه علماً بأحدث الأسلحة ويغريهم بالتخفيض المناسب، فالسلاح مطلوب فى كل الظروف وفى كل الأوقات ولكل الجبهات لمواجهة العدو!

فى تعامل دورينمات مع نص فيلاند، أضاف الكاتب شخصية أساسية غير موجودة فى النص الأصلى وهى شخصية (القبطان تيفس) التى تعمل على تفجير الموقف الدرامى وتغيير رؤيته للجماعة البشرية ورصده للسلوك الجمعى ومدى حماقه القبطان الذى يلف العالم بسفينته ورجاله، القبطان الذى له فى كل ميناء امرأة، القبطان الذى يسرق النعاج ويسرق ثوب هيلينا الحريرى، ولا يهتم إلا بثلاثة أشياء : المال والخمر والنساء، والمستعد هو ورجاله أن يفعلوا أى شىء مقابل ذلك، بل أن الأغنية التى يغنيها القبطان وهو فى حالة سكر دائم ما هى إلا (أغنية لصوص البحر) لبرتولت بريخت، نقلها دورينمات كما هى دون تعديل أو حرج ــ مما يثير إشكالية متكررة فى تعاملنا مع النصوص ومع فهمنا لطبيعة العملية المسرحية فقد أخذ دورينمات إطار دراما

" **قضية ظل الحمار** " كما سبق أن ذكرنا، من رواية للكاتب الكلاسيكى كريستوف فيلاند،أعدها دراميا كدراماتورج، وأدخل أغنية شهيرة لكاتب مسرحى كبير (بريخت) واستخدمها على لسان أحد شخصياته المختلقة (القبطان) غير الموجودة فى النص الأصلى، ووظفها توظيفاً يخدم ما يريد أن يقوله، ثم غير نهاية الرواية كلية، فبدلاً من تصالح الأطراف المتناحرة، فجر البلدة كلها وحرقها وحولها إلى رماد بناءً على رغبة الطرفين المتناحرين ــ فهذا ما يستحقه أهل هذه البلدة / العالم. هنا تكون الرواية السردية إطاراً لأحداث يقرؤها كاتب الدراما ويتعامل معها ويفسرها من خلال قناعاته الفكرية والفنية، فيضيف ويحذف ويعدل ويغير أثناء العملية المسرحية، بهدف طرح تصوره وتوصيله. طوال هذا العمل يطرح دورينمات الصراعات الإنسانية على مستويات متعددة وخيبة أمله الشديدة فى الكائن البشرى فى مثل هذا الإطار الاجتماعى الذى لا يفرز سوى نماذج حمقاء غبية محدودة قصيرة النظر ــ تؤدى بأنفسها إلى الهلاك الكارثى. كل ذلك يدور فى إطار مدهش من مواجهة المفارقات بالسخرية المرة، السخرية من كل شىء، والأسى على كل شىء، أنه يعرض الوعى الجمعى وقصوره، أو بتعبير آخر (عدم الوعى الجمعى) والغيبوبة العامة التى يتمرغ فيها الجميع بلا استثناء. وبعد احتراق آبديرا وتحولها إلى رماد، يقف أهل البلدة يتفرجون مندهشين، حيث يظهر الحمار الذى هرب بجلده من الحريق، ويوجه حديثه للجمهور، طارحاً

عليهم سؤالاً واحداً : أجيبوني بصراحة ودون حرج لعلي أفهم سر تعاسة أهل هذه البلدة قبل أن يقتلونني: من كان منا الحمار في هذه القصة؟

يوم أن وطئت قدم الإنسان على سطح القمر لأول مرة في التاريخ (٢٠ يوليو ١٩٦٩) علق دورينمات قائلاً " **هذا لا يعني الحكمة والعقل، بل يثبت العجز والخيبة. لقد أثبت الإنسان أن الصعود إلى القمر أسهل كثيراً من أن تتعايش الأمم المختلفة في سلام، أسهل كثيراً من تحقيق ديموقراطية حقيقية أو اشتراكية عادلة حقيقية، أسهل كثيراً من التغلب على الجوع وعلى الجهل أسهل كثيراً من أن نتجنب الحرب (في فيتنام) أو أن نضع لها نهاية، ففي الوقت الذي يصعد فيه الإنسان إلى القمر، يموت أربعة أخماس البشر من الجوع أو في الحروب بدلاً من غزو القمر : علينا أن نشكل ما يخصنا بشكل إنساني: الأرض أرضنا لا يوجد وطن آخر وأية محاولة للهروب ما هي إلا وهم**".

فريدريش دورينمات ــ قارة كاملة، بكل مسالكها الفكرية وعذاباتها الروحية ودروبها الجمالية المتشابكة، اكتشفنا بعضها، ولم يزل هناك الكثير الكثير الذي لم يكتشف بعد.

يسري خميس

الهرم فبراير ٢٠٠٤

قضية ظل الحمار

الشخصيات

استروثيــــون.......................طبيب أسنــان

آنثراكـــــس.........................الحمّـــــار

كروبيـــــل........................ زوجتـــه

فيليبيـــــدس........................قاضى آبديرا

ميلتيـــــاس.........................المدعى العام

فيزيجناتـــوس.........................محامى آنثراكس

بوليفونـــوس.........................محامى أستروثيون

بيليــــاس.......................خادمة " حبيبة ماستاكس"

ماستاكـــــس....................... حداد "أخ الكابتن تيفيس"

تيفيـــــس..........................قبطــان

ايريـــــس..........................خطيبة القبطان

استروبيلــوس.....................كبير الكهنة "حامى آنثراكس"

تيليزيــــا........................راقصة "دلوعة كبير الكهنة"

آجاثيرســوس.....................كبير الأساقفة "حامى اسروثيون"

رئيـــس جمعيـــة السياحـــة

رئيـــس جمعيـــة الرفـــق بالحيـــوان

رئيـــس اتحـــاد العمـــال المقدونـــى

رئيس اتحاد الحرفيين

رئيس مجلس المدينة

مدير شركة المرمر

مدير مصانع السلاح " ثيكيديدس"

مندوب حزب الظل

مندوب حزب الحمار

رئيس المطافئ

رجل مطافئ ١ . ٢ . ٣

حارس، شحاذ، منادى

بائعة، قضاة

استروثيـــــــــون :اسمى استروثيـون، طبيب أسنان.. أنا السبب فى
هذه القضية الملعونة، لقد دمرتنى تماماً، دمرتنى
كلية، المنزل والعيادة علاقتى الزوجية، ممتلكاتى
كلها. رغم أنه لا ذنب لى، لاذنب لى، لا ذنب لى
على الإطلاق. لقد ارتكبت خطأ واحداً، أعترف
بذلك : أننى تركت مدينة ميجارا التى ولدت فيها
وارتحلت إلى هذا المكان الكئيب آبديرا. لك أن
تسألنى، ومن يذهب إلى آبديرا ؟ أنا نفسى أتعجب
من ذلك. إن آبديرا كارثة حقيقية! عشرة آلاف
نسمة، لن نتحدث عنهم. ألف دار كئيبة متهالكة،
أغلبها محترق. أزقة قذرة مليئة بالمياه الراكدة
وبرك تعج بنقيق الضفادع ـــ دعنا لا نتحدث عن
ذلك، يداهمنى الغثيان كلما تذكرت تلك
الضفادع. باختصار : قرية منسية فى أعماق
الريف، فى الريف الجوانى. فى القرية معبدان،
معبد لتبجيل الالهة لاتونا القادرة على مسخ
الفلاحين إلى ضفادع، والمعبد الآخر للإله جاسون،
يقال أنه نصف إله قام ذات يوم بقتل ثورين
كبيرين. وأنا طبيب الأسنان الوحيد فى هذا المكان.
لا أريد أن أتحدث عن ذلك، أريد أن أحكى ما

حدث لى ذات يوم فى الصيف الماضى، عندما اضطررت للسفر إلى جيرانيا فى رحلة استغرقت ثلاثة أيام. مدير جمعية استيراد العبيد يؤلمه ضرس العقل اللعنة على ضروس العقل جميعها. نهايته، قررت الرحيل للمريض. لم آكل قبل السفر سوى قطعة من لحم الديك الرومى البارد وبيضتين، وكأس من النبيذ الأحمر لا غير. حمارتى الصغيرة التى أركبها عادة فى أسفارى ولدت ليلتها جحشاً جميلاً. ذهبت ذلك الصباح إلى السوق الذى يعج دائما بنداءات الباعة المتجولين وآهات المتسولين ومنادى القرية، كى أؤجر حماراً من تجار الحمير.

"تسمع خطوات "

شحـــــاذ : حسنة لله يا دكتور، حسنة صغيرة حلوة

بائعــــــة : الكريز، الكريز الطازج، بشائر الموسم

منادى القريــــة : الجنود الأثينيون ينزلون فى صقلية! تحول كبير فى الحرب البيلوبونيزية

آنثراكـــــس : فى سوق القرية، جاءنى طبيب الأسنان الدكتور أستروثيون، أنا آنثراكس تاجر الحمير. الآن يتهموننى بأن الخطأ كان خطىء فى كل ماحدث، أنا المواطن الصالح الذى يقول دائما: آبديرا فوق

الجميع. لم أستلطف ذلك الرجل خالع الأسنان
عندما جاءنى فى السوق يتدحرج كبرميل ولم
أستغرب ذلك فهو من ميجارا حيث الجميع
أقدامهم مفلطحة. هل قابلت فى حياتك رجلاً من
ميجارا واستلطفته؟ أنا شخصياً لم يحدث لى
ذلك. كانت رائحة الخمر تفوح من فمه، ليس كأسا
واحدة من النبيذ الأحمر، بل زجاجة كاملة على
الأقل. ماهو أثر ذلك على رجل فقير مثلى من
البروليتاريا لا يأكل طول السنة سوى العصيدة
بالثوم .هذا الرجل الآتى من اليونان لم يره أحد قط
فى معبد من المعابد، ملحد تعيس، يقولون أن
عنده بانيو فى حمام منزله هذا الكافر!

استروثيــــــــون : أجّرت حماراً من تاجر الحمير آنثراكس حتى
أصل إلى بوبوليس المحطة الأولى فى الطريق إلى
جيرانيا. يجب أن أقول أن الحمّار لم يكن سيئا،
كما أنه لم يكن مهملا وكانت البردعة جيدة. ركبت
الحمار يتبعنى الحمَّار، وابتدأت رحلتنا. ومررنا فى
طريقنا خلال الأزقة القذرة بمبنى البلدية ومبنى
المسرح والنادى الرياضى وعبرنا من بوابة القرية
وخرجنا من البوابة الأخرى ووجدنا أنفسنا فى البرك

والمستنقعـــــات. **"يُسمح نقيق الضفادع ونهيق الحمار"**

آنثراكـــــــس : وأنا أجرى كالعادة بجوار الإثنين، بجوار الحمار وطبيب ا لأسنان الذى يجلس على ظهر الحمار. وكالعادة لا تتوقف الضفادع المقدسة عن النقيق. وأنا أجرى ناحية الشرق ثم ناحية الغرب فشمالاً فجنوباً. وطبيب الأسنان متجهم الوجه بدون داع. هذا الملحد الكافر! تركنا خلفنا البرك المقدسة ودخلنا منطقة السهول الواسعة والسهوب المنبسطة.

استروثيـــــون : اللعنة! هذه الحرارة الفظيعة! إن المنطقة بين آبديرا وجيرانيا تشتهر بهذه السهول الواسعة وحرارتها الشديدة، حتى أن أهل المنطقة يسمونها ضربة شمس السهول. وأنا على ظهر الحمار، والحمّار، يمشى ويمشى ويمشى. يتوقف أحياناً ثم يواصل المشى ثم يتوقف ثانية، وخلفنا يجرى الحمَّار، تفوح منه رائحة الثوم. وأنا أتقدم فوق ظهر الحمار والشمس تعلو وتعلو، تتوسط السماء، وأنا فوق ظهر الحمار. ساعة بطولها لا شجرة واحدة، لا نبتة عشب، لا شئ سوى سهوب فسيحة تمتد على مدى الرؤية، تتناثر فيها بعض الأعشاب الجافة وتضج

بأزيز الحشرات والصراصير. لا يوجد فى العالم ما يشبه سهول هذه المنطقة فى ثراتسيا. أصابنى الدوار من سخونة نار الشمس التى تنصب على الحمار وعلى. وجدت الموقف غبياً. توقفت، نزلت من على الحمار ثم جلست أستريح فى ظل الحمار وأنا ألهث، بحلق الرجل فىّ متعجباً، ولم أصدق ما حدث بعد ذلك.

آنثراكـــــس : ما هذا؟ ماذا تفعل؟ من سمح لك بذلك؟

استروثيــــون : وما دخلك أنت؟ هذا لا يعنيك. إننى أستريح قليلاً فى ظل الحمار، فالشمس حارقة، لم أعد أستطيع التحمل.

آنثراكـــــس : سيدى، لم نتفق على ذلك! لقد أجّرت لك الحمار وليس ظله. لم يأت ذكر ظل الحمار فى إتفاقنا.

استروثيــــون : هل أصبت بالجنون يا رجل؟ إن ظل الحمار يتبع الحمار، هذا بديهى. وعندما أقوم بتأجير الحمار، هذا يعنى أننى أجّرت الإثنين، الحمار و ظله.

آنثراكـــــس : أقسم بالضفادع المقدسة! أن هذا ليس بديهياً. كما أنه ليس منطقياً. فالحمار شئ وظل الحمار شئ آخر. لقد أجرت منى الحمار مقابل عشرة قطع من النقود النحاسية. لو أنك أردت أن تؤجّر ظل الحمار

أيضـــاً، كـــان يجب عليك أن تقــول لي ذلك. باختـصار، قف يا سيدى ودعنا نواصل الرحلة، أو أدفع لى فى الحال مقابل إيجار ظل الحمار.

استروثيـــــون : ماذا تقول؟! إنك تخرف بالتأكيد! لقد دفعت لك إيجار الحمار، والآن تريدنى أن أدفع إيجاراً لظل الحمار؟ عندئذ أكون أنا الحمار بكل تأكيد. لقد أجرت منك الحمار ليوم كامل، فالحمار حمارى طوال اليوم، أركبه، أجلس فى ظله، كما يحلو لى، على كيفى. تأكد من ذلك.

آنثراكـــــس : هل هذا هو رأيك النهائى؟

استروثيـــــون : هذا هو رأيى النهائى.

آنثراكـــــس : إذن، دعنا نعود مَنْ حيث أتينا إلى آبديرا ونعرض الموضوع على قاضى البلدة. وسوف نرى مع من يكون الحق. وبحق الضفادع المقدسة المبجلة منى ومن حمارى، أريد أن أرى من سيعارضنى فى قضية ظل الحمار.

استروثيـــــون : وماذا يمكننى أن أفعل الآن؟ هل تركت بلدتى ميجارا وجئت إلى آبديرا من أجل ذلك؟ هذا لا يمكن أن يحدث إلا فى هذه المنطقة. فى البداية، تملكتنى رغبة شديدة فى ضرب الحمّار هذا، وعندما نظرت إلى الرجل، وجدته فارع الطول والعرض،

أعرض من حماره مرتين ــ فغيرت رأيى، وقررت أن أنسى ضرس عقل تاجر العبيد وأن أعود مع تاجر الحمير إلى آبديرا لمقابلة قاضى البلدة فيليبيدس.

فيليبيدس : وجاء الإثنان إلىّ، أنا فيليبيدس قاضى آبديرا. وبينما أجلس فى قاعة المحكمة أسمع شجارهما من بعيد.

أستروثيون : نصاب، غشاش. أنت تدمّر عملى هكذا.

آنثراكس : مستغل، أنت تريد أن تسرقنى.

فيليبيدس : أصرخا عن آخركما، فأنا هنا من أجل ذلك، أنا قاضى البلدة منذ عشرين سنة. دعهما يدخلان، فالمحامون لم يظهروا بعد، وهذا يعطى فرصة أفضل للتصالح. إننى بشكل عام مع السلم، فأنا هنا من أجل ذلك. وصاحب الصوت العالى يعطينى إنطباعا بأنه على حق. فعندما يأتى إلىّ رجل غنى ومعه لص، أستمع أولا للغنى. والغنى بالطبع على حق، فهو مالك الأشياء التى يمكن أن تُسرق. وعلى المرء ألاّ يسرق. ثم أستمع إلى اللص، فأجد أنه أيضا على حق، فعلى المرء ألا يجوع والإنسان فى حاجة إلى الخبز. وهكذا، يكون

الغنى على حق كما أن الفقير أيضا على حق. ماذا
علىّ أن أفعل؟ أنا قاضى بلدة آبديرا، هل أنحاز
لأحد منهما؟ إننى هنا من أجل السلم، حتى يأخذ
كل ذى حق حقه. يجب أن يعيش الجميع فى سلام،
ومن غير سلام تستحيل الحياة. ها هما يأتيان
بصراخهما، استروثيون طبيب الأسنان
وآنثراكس تاجر الحمير، إننى أعرفهما، ففى
آبديرا يعرف كل منا الآخر، جميعنا نعرف بعضنا.
أتفحّص أولاً طبيب الأسنان ثم أتفحّص تاجر
الحمير. أتفحّص تاجر الحمير مرة آخرى ثم أتفحّص
طبيب الأسنان. مَنْ منكم صاحب الدعوى؟ مَنْ
الشاكى؟

استروثيون : أنا أرفع دعوى ضد تاجر الحمير لأنه لم يلتزم
باتفاقنا.

آنثراكس : وأنا أشتكى طبيب الأسنان. أراد أن يجلس فى
الظل دون أن يؤجره.

فيليبيدس : ظريف، طريف، كلّ منكما يتهم الآخرويرفع دعوى
ضد الآخر. وأين هو المدّعى عليه؟ قضية غريبة.
والآن فلنسمع القصة مرة أخرى بكل ملابساتها،
الواحد بعد الآخر، ودون صراخ.

استروثيون : جناب القاضى المحترم! أنا طبيب الأسنان استروثيون، قمت بتأجير حمار لمدة يوم كامل من تاجر الحمير هذا، الحق يقال، لم نتفق على شئ بخصوص ظل الحمار. لكننا لم نسمع قط أنه من الضرورى فى مثل هذه الحالة إضافة بند تحفظى بخصوص ظل الحمار. وبحق هرقل، ليس هذا أول حمار يؤجر فى آبديرا.

فيليبيدس : الحق معك.

استروثيون : سيادة القاضى، الحمار وظله متلازمان، لا ينفصلان، أحدهما مع الآخر. أليس من المنطقى أن الذى يؤجر الحمار، يؤجر معه ظل الحمار فى نفس الوقت؟

فيليبيدس : الحق معك. وأنت يا تاجر الحمير، ماذا تقول؟

آنثراكس : سيادة القاضى العادل، إننى رجل بسيط، لكنه لا يمكن أن تقنعنى بأننى مذنب لأننى أترك حمارى واقفا فى الشمس الحارقة حتى يجلس فى ظله هذا الرجل القاسى القلب، دون مقابل. لقد قمت بتأجير الحمار للرجل ولقد أعطانى نصف الأجرة، لكن الحمار شئ وظل الحمار شئ آخر.

فيليبيـــــــدس : معك الحق.

آنثراكـــــــس : لو أنه يريد أن يؤجر ظل الحمار، فما عليه إلا أن يدفع نصف أجرة الحمار، هذا ليس بكثير. وأرجوك يا سيادة القاضى أن تقف بجوارى، وتعطينى حقى.

فيليبيـــــــدس : أفضل شئ يمكنكما أن تفعلاه هو أن نحل الموضوع بشكل سلمى.فأنت يا سيد آنثراكس، دع ظل الحمار يدخل فى أجرة الحمار، فهو مجرد ظل، أما أنت يا سيد أستروثيون فلتعطه ثلاث قطع نحاسية وينتهى الموضوع. فالسلم أفضل الحلول.

استروثيـــــــون : لن أعطى هذا الحمّار القذر قطعة نقود واحدة. أريد حقى!

آنثراكـــــــس : وأنا أريد حقى!

فيليبيـــــــدس : وابتدأ الاثنان فى الصراخ، فتركتهما يصرخان، على المرء أن يترك الأشياء تأخذ مجراها لتهدأ من نفسها دون تدخُّل. مسحت عرقى من الانفعال، لكنهما واصلا صراخهما، عطست، فواصلا. فجأة خيّم على المشهد صمت مطبق وتوقفا عن الصراخ مرة واحدة ــ وذلك عندما سألتهما : ولكن أين الحمار؟

آنثراكس : فى الممر أمام الباب.

فيليبيدس : دعه يدخل. ودخل الحمار. حمار رمادى حزين العينين ومرهق. توقف الحمار. رفع أذنيه، نهق، نظر لتاجر الحمير، ثم نظر لطبيب الأسنان، وأخيراً نظر إلىّ، هز رأسه وخفضها مستسلماً. الآن يمكننى أن أدرك أن غباء الإنسان يثير الرثاء حقيقة. وابتدأ تاجر الحمير فى الصراخ.

آنثراكس : الآن ترى بنفسك يا سيادة القاضى المحترم. ألا يستحقّ ظل مثل هذا الحمار الجميل الأصيل خمس قطع نحاسية، وفى مثل يوم شديد الحرارة كاليوم؟

فيليبيدس : أنت مصرّ إذن، على أن تتقاضى خمس قطع نحاسية مقابل ظل الحمار؟

آنثراكس : أقسم بالضفادع المقدسة! لا تراجع ولا تنازل!

فيليبيدس : كما تريد يا تاجر الحمير. عندئذ لابد أن نفتح ملفاً للقضية أيها الحاجب، اسحب الحمار للداخل وسوف يظل بالمحكمة لحين البت فى القضية.

آنثراكس :لا يمكنكم فعل ذلك يا سيادة القاضى العادل!

فيليبيـــــدس : ليس هناك حل آخر. العدالة ليست سهلة. العدالة حاسمة حازمة! الحمار هو موضوع الدعوى ويجب أن يظل هنا، تحت أيدينا. فى الحــفظ.يجب أن نتحفّظ عليه.

آنثراكـــــــس : إننى أتعيّش منه. لقمة عيشى!! أنا وزوجتى!

فيليبيـــــدس : أترى يا تاجر الحمير؟ أترى؟ هذا يحدث عندما لا يريد المرء السلام. والسلام هو أهم شئ. إذا قامت الحرب بين المقدونيين، هل يمكنك أن تقوم بعملك؟ وعندئذ يجب أن تسلم حمارك للجيش، وعندما تريد الدخول فى إجراءات قضية، يجب أن تسلم حمارك للمحكمة. وأنت يا طبيب الأسنان، ادفع لتاجر الحمير أربع قطع نحاسية، حتى تثبت حسن النية، وأنت تأخذها يا تاجر الحمير، وينتهى الموضوع، وتواصلان الرحلة بسرعة إلى جيرانيا، فتاجر العبيد المسكين تقتله بالتأكيد آلام أسنانه

استروثيـــون : لا أدرى!

آنثراكـــس : سيادة القاضى العادل!

فيليبيـدس : اعتقدت أننى أثّرت عليهما، وأننى اقتربت من إقناعهما بالتصالح، وابتدأ كل منهما يهرش

خلف أذنه..وإذا بكل أسف يدخل المحامى فيزيجناتوس وزميله بوليفونوس بأروابهما الصفراء.

فيزيجناتوس : هل سمعت ما قاله؟ ما قاله هو الذى يؤسف له حقيقة. لا أريد أن أتعرّض لزميلى العزيز بوليفونوس، لكنه لا يمكننى أن أفهم أن أحد أعضاء نقابة محاميى بلدة آبديرا، يقوم بالدفاع عن تاجر الحمير. لكن أن يختارنى طبيب الأسنان آنثراكس للدفاع عنه، فهذا واجب مقدس ولا شك. أريد أن أعرف موضوع هذه القضية التى أخذت هذه النهاية الفظيعة. إنها حالة نموذجية للوعد الحق. يقولون أننى قبلت الدفاع فى هذه القضية، بهدف حبى للمال. هل يكون هدفى المال عندما يكون هدفى العدالة؟ لا وألف لا، إن القضية تتلخص فى محاولة اللف والدوران حول الحق الواضح والعدالة الساطعة كالشمس بهدف طمس العدالة فى دهاليز معتمة.

بوليفونوس : إن موضوع هذه القضية ــ كما قال بحق زميلى العزيز فيزيجناتوس ــ هو العدالة. نعم

العدالة. لكننى أريد أن أسأل زميلى العزيز: ما هى العـــدالة؟ أعـــرف أن زمـــيلى العـــزيز فيزيجناتـــــوس قد درس القانون فى جامعات أثينا وسيراكوزا وميكين بينما درست أنا القانون فى جامعة بيلا، ولكن: أليست العدالة هى شعور حى أكثر منها معرفة جافة؟ أعرف أن الكثيرين حاولوا تلطيخ سمعتى وتشويهى لمجرد أننى وقفت فى صف الحمَّار آنثراكس وأننى تبنّيت قضيته. بل لقد سخر منى أحد الصحفيين المعروفين، قائلاً أننى نظرت إلى الحمار نظرة ذات مغزى وأننى أعجبت بجمال الحمار وجسده. كذب صريح وافتراء وقح! وإننى لأتساءل ما هو السبب الحقيقى وراء ذلك كله؟ السبب الحقيقى هو : أنه مجرد فرد بسيط من وسط الشعب، ومن أقل أفراده شأناً. من الحاجة والبؤس ومن الفقر والتعاسة، من وسط هذا كله، ينشـأ أسـاس جـديد لمعنى العـدالة وقوانينها. أقول : أساس جديد. لماذا لا يكون لهؤلاء الفقراء حق على ظلالهم؟ أليس من واجبنا أن نحـرر هذا الصـوت من أى أحكام

مسبقة ولا نسمع إلا لصوت الحق والعدالة؟"
تركت الحمار فى حوش المحكمة بناء على قرار القاضى وذهبت مع آنثراكس إلى سوق المدينة".

بائعة : المشمش، مشمش طازج، البشاير!!

منادى : أهل أثينا يتهمون الأدميرال آلكيبياديس! أحداث مثيرة فى الحرب البيلونيزية!

بائعة : صوف إيرانى، أحلى صوف إيرانى!

بوليفونوس : ارفع رأسك يا آنثراكس! لقد أخذوا منك الحمار، لا بأس، لكن عندما تكسب القضية، سوف تحصل على اثنتى عشرة دراخمه.

آنثراكس : إثنتا عشرة دراخمة؟ بحق الضفادع يا سيد بوليفونوس، إثنتا عشرة دراخمة! سيغمى علىّ!

بوليفونوس : إثنتا عشرة دراخمة.

آنثراكس : اثنتا عشرة دراخمه. يمكننى أن أشترى بها ثلاثة حمير. حمير مقدونية أصيلة. سوف أصبح أهم تاجر حمير فى آبديرا

بوليفونوس : لن يكون ذلك سهلا أن نكسب القضية، يجب أن يكون ذلك واضحا لك. هذا لا يتوقف علىّ

وحدى، فمن ناحيتك لابد أن يكون سلوكك نظيفاً ومستقيماً. فعيون البلدة كلها مركزة عليك. فهم يقولون مثلاً أنهم يرونك بين فترة وأخرى وأنت سكران.

آنثراكـــــس : يا سيد بوليفونـــــوس!

بوليفونـــوس : لقد رأيتك بالأمس خارجاً من بار ليونيداس وأنت تترنح من السكر.

آنثراكـــــس : كأس شنابس بين الحين والآخر يا سيدى.

بوليفونـــوس : يجب أن يتوقف ذلك تماماً. كذلك ضربك لزوجتك، حتى نكسب جمعية المرأة فى صفنا.

آنثراكـــــس : لكن يا سيد بوليفونـــوس.

بوليفونـــوس : دون مناقشة. هدفنا هو أن نوقظ الشعب. أنت الآن الشعب. أنت ممثل الشعب. لاتعتقد أن ظل حمارك يكفى بأن يثير حماس الشعب، فهذا لا يعنيهم.

آنثراكـــــس : يا سيد بوليفونـــوس، إننى مجرد فرد واحد فقير مسكين، لكن الشعب ملايين من البشر.

بوليفونـــوس : كل شئ يتوقف عليك أنت. إن الجنرال ليس الجيش، لكنه أهم فرد فى الجيش. بدونه نخسر الحرب بكل تأكيد. أنت الآن جنرال، يا حمّار جنرال الفضيلة، جنرال الزواج المثـــالى النمـــوذجى، جنرال الزهد

والتقشف. أتعابى سوف تكلفك أربع دراخمات، تبعا لنص لائحة نقابة المحامين. هذا هو الحد الأدنى من الأتعاب لشريحة الفقراء مثلك. على أن تُسدد خلال ثلاثة أيام من بدء التعاقد.

آنثراكس : أربع دراخمات؟ بحق الضفادع! هذا يعنى، أنه يمكننى الآن أن أشترى حمارين فقط.

بوليفونوس : سوف يدخل جيبك من هذه القضية، إثنتا عشرة دراخمة بالتمام والكمال. لا استثناءات فى موضوع الأتعاب، إنها اللائحة يجب أن ألتزم بقواعد لائحة نقابة المحامين. ارفع رأسك يا آنثراكس. يجب أن أذهب إلى حارة أبوللو للتحدث مع بامفوس بشأن تسوية معاشه.

فيزيجناتوس : فى نفس الوقت، بينما كان زميلى العزيز بوليفونوس يتجول فى سوق البلدة مع تاجر الحمير ذهبت أنا مع موكلى طبيب الأسنان نتجول فى شارع ديموقريط بحى الفيلات. الحق يقال، الجو شديد الحرارة، لذلك نمشى فى الناحية الظليلة من الشارع تحت أشجار الزيزفون. والآن يا سيد آنثراكس، يجب أن تعرف، أنك لن تكسب كثيرا من هذه القضية، أربع دراخمات لا غير.

استروثيـــــون : القضيـة بالنسبة لى يا سيد فيزيجناتـــوس، قضيـة مبدأ، قضيـة حق، العدالة! كم هى قيـمة أتعابك؟

فيزيجناتـــوس : أربعون دراخمة. تبعا لنص لائحة نقابة المحامين، بالمناسبة نصف المبلغ كمقدم أتعاب، خلال ثلاثة أيام من بدء التعاقد.

استروثيـــــون : رحلة مكلفة، تلك الرحلة إلى جيرانيا. أما أنت يا سيد فيزيجناتـوس، اطمئن، سوف تأخذ أتعابك ومقدم أتعابك بالتمام والكمال. فى سبيل المبدأ، نضحى بأغلى الأشياء. إننى عالم، وكما قال لنا ذات يوم معلمنا الكبير فيثاغورس.

آنثراكـــــس : يسمى نفسه عالم، طبيب الأسنان القذر هذا. عالم حمار، ذلك الذى لا يؤمن بالضفادع المقدسة، التى يسمعها الجميع طول الوقت فليختفى فى حى الفيلات، أما أنا فسأذهب لبار ليونيداس. اثنتا عشرة دراخمه ناقص أربعة، يبقى ثمانية دراخمات، يعنى حمارين! صفقة عظيمة، صفقة مدهشة، ها هو ليونيداس يقف أمام البار، إلى الشنابس فلا أحد يرانى! لا، قاوم يا آنثراكس! لا تدخل البار، لا تلقى ولانظرة على البار. ولا نظرة.

سوف تكسب ثمانية دراخمات، يجب أن تعطى إنطباعاً جيداً، تعبيراً جادا على الوجه، دون مصمصة للشفاه. الآن صرت جنرال الفضيلة، غدا فيلدمارشال الفضيلة!!.. ها هو البدروم الذى أعيش فيه وكالعادة، ملابس مغسولة مبلولة عند المدخل سيطر على نفسك يا آنثراكس، تماسك، ها هى زوجتك تتقدم نحوك. لا ضرب، وجه سمح، من هذه اللحظة، سيكون زواجاً نموذجياً، ينحنى أمامه الجميع ويندهش. فكرّ فى الدراخمات الثمانية، فكر في الحمارين المقدونيين. ألف تحية وتحية يا كروبيل يا زوجتى يا حبيبتى.

كروبيـــــــل : العصيدة جاهزة والثوم جاهز يا بعلى. أين الحمار؟ ماذا فعلت به؟

آنثراكـــــس : حجزوه يا حبيبتى، الحمار حجزوه. عما قريب لن تسألينني : أين حمارك، بل ستقولين أين حميرك الثلاثة، القديم والإثنان المقدونيان. فرصة ذهبية. صفقة جيدة. ثمانية دراخمات مرة واحدة. زوجك أصبح رجل أعمال يا حلوة.

كروبيـــــــل : ثمانية دراخمات؟ مرة واحدة؟

آنثراكـــــس : أنت مندهشة __ هه؟ لا تصدقيننى أيتها العجوز؟

كروبيـــــــــل : مؤكد أنت سكران!

آنثراكــــــــس : لا، أنا لست بسكران، كما أننى من الآن سوف أتوقف عن ضربك. أصبحت رجلاً مستقيماً فاضلاً يا عزيزتى، فأنا الشعب، أنا الشعب. أعطنى قبلة يا حبيبتى العجوز! أخرجى الفراش وكل الأثاث الفاخر من هذه الغرفة، يجب أن نرهن كل ما نملك!

كروبيـــــــــل : ماذا تقول؟ هل جننت؟

آنثراكــــــــس : جننت؟ جننت يا عبيطة؟ نحتاج لأربع دراخمات أتعاب المحامى بوليفونــــــوس، محامى شاطر إنما شطه. سآخذ ثمانية، وهو أربعة، على بعض اثنتا عشرة دراخمة. مقابل ماذا كل هذه المبالغ ــ لن تصدقى يا عجوزتى الحلوة. مقابل ظل الحمار، حمارنا الجميل!

كروبيـــــــــل : وحق الآلهة! لقد أصابك الجنون!

آنثراكــــــــس : طبيب الأسنان هو الذى أصابه الجنون، عندما استراح فى ظل حمارى ليحميه من الشمس الحارقة، دون أن يدفع. هل هذه هى وسائل رجال الأعـــمـــال فى آبديرا؟ هذا لا يقنعنى أنا، أنا الشعب! والآن هناك قضية تنظرها المحكمة بخصوص هذا الموضوع، تثير ضحك الآلهه. أخرجى

الفراش يا امرأة، فالصيف حار، و نحن لا نحتاج للفراش، يمكننا أن ننام على الأرض!

كروبيـــــــــل : ها أنا كروبيـل المسكينة، بنت الجزمجى أنومالوس والداية هبه، أطبخ العصيدة، وأستمع للقصة التعيسة، التى يرويها لى زوجى الحمّار آنثراكس، ابن العبد هيدور والخادمة بيريسفون. لقد استدرجنى هذا الرجل وتزوجنى، رغم أنف كيتوس الملاكم المحترف، الذى كان سيموت علىّ ويتزوجنى. والآن يريد أن يرهن فراشنا وأثاثنا، ويترك الحمار فى المحكمة، أكل عيشنا الوحيد! حمّار يتقاضى ضد طبيب أسنان. قضية خاسرة بكل تأكيد. لن يكسب القضية قط، بالاستعانة بالمحامى وحده. الحمّار حمّار، لا يمكن أن يساعده أقدر المحامين، إننى أعرف العالم ونظامه. والفضيلة لن تغير الوضع. إننى أعرف الفضيلة أيضاً. من الصعب التمسك بها لفترة طويلة دون نقود. لا أنا ولا آنثراكس. يجب أن نبحث عن شخص ذى حيثية يساعدنا، شخصية مثقفة، عليه هيبة، كاهن محترم. نحن نتبع معبد لاتونا بكل ضفادعه المقدسة. إننى أعرف الكهنة جيدا، لقد

كانت أمي متزوجة تقريبا بأحد الكهنة. كلما تعاملت مع السلطة الأعلى، تكون النتيجة مضمونة. آنثراكس، يجب أن نذهب لكبير الكهنة استروبيلوس ونقنعه، وإلا ستظل حميرك الثلاثة في خيالك فقط.

آنثراكس : مؤكد أنت حمقاء! كيف ستفعلين ذلك! إن كبير الكهنة لا يهتم بهموم تاجر حمير!

كروبيل : سوف أفعل ذلك بكل سهولة. صديقتي بيلياس الخادمة، تعرف حداداً اسمه ماستاكس، الذي يموت ويتزوجها، لكنها لا تريده، من أجل عيون البارمان كولون، الذي يحاول أن يقنعها بالزواج منه بعد وفاة زوجته. ماستاكس هذا له أخ قبطان سفينة، قبطان، وهو مخطوب إلى إيريس، إنك تعرفها، السمينة الشقراء.

آنثراكس : إيريس هذه لا تهمني.

كروبيل : غبي! إنها طباخة الراقصة تيليزيا!

آنثراكس : بحق الشيطان! ما هي علاقة الراقصة تيليزيا بقضية الحمار؟

كروبيل : أنت لا تعرف شيئا. الراقصة تيليزيا تذهب كثيرا لكبير الكهنة استروبيلوس بعد منتصف

الليل لترقص له. أهل البلدة جميعاً يعرفون ذلك.

آنثراكس : لا تخطئى فى حق كبير كهنة الضفادع يا امرأة! إنه رجل دين مقدس! وأنا لا أسمح بأن يمس أحد الدين، فأنا رجل ورع وفاضل. مستقيم.

كروبيل : بالطبع هو رجل دين مقدس! لكن رجال الدين! رجال أيضا، بشر مثلنا. كما أن تيليزيا لا ترقص له. إنها فقط تقف أمامه عارية كالتمثال، وتتخذ أوضاع الآلهه اليونانية المختلفة آرتيميس وآفروديت، مثل تلك التماثيل التى تقف فى المعابد.

آنثراكس : فهمت فهمت. هذا يختلف تماما عما ظننته. دراسات علمية فى طبيعة الجسد البشرى، كما يقولون. ما علينا.

كروبيل : سأكلم الخادمة لتكلم الحداد ليكلم أخوه ليكلم إيريس لتكلم الراقصة لتكلم كبير الكهنة. يجب أن نفعل ذلك يا آنثراكس، فأنا أعرف زوجة طبيب الأسنان استروثيون، لقد غسلت عندها ذات مرة. سوف تمر على جميع القضاة وتتكلم معهم، فإن لم نهتم من ناحيتنا فسوف تضيع القضية بكل تأكيد. كبير الكهنة، هذا هو رجلنا. سوف

يساعدك فى الحصول على دراخماتك الثمانية.
إننى أعرف الدين ورجال الدين. هذا من حقنا فنحن
نسكن فى منطقة معبد لاتونا.

آنثراكـــــس : ثمانية دراخمات أيتها العجوز! لو أن ذلك يتحقق!

كروبيــــــل : لم يكن سهلا أن أقنعه، لكننى أقنعته. سأخرج
الفراش والأثاث وأذهب مساء السبت إلى الخادمة
بيليـــــــاس. إنها تسكن فى حى القلعة
بالقرب من بار كولون. هناك حيث تقف النسا
أمام البيوت فى أيديهن المكانس، بينما يجلس
الرجـال فى البـارات كـالعـادة. أدخل بيتـ
بيليـــــــاس، فهى لا تغلق الباب، تعانقنى
صديقتى، فأبادر بسؤالها : هل تريدين الزواج م
ماستاكس أم من البارمان السمين كولون؟

بيليـــــــاس : لا أعرف. لا أعرف فعلا، أيهما أريد، يا صديقت
كروبيــل. إننى مترددة جدا.

كروبيــــــل : خذى ماستاكس. لقد أجهز كولون على خمس
زوجات من قبلك، من كثرة العمل فى البار وكثـ
الضرب فى البيت.

بيليـــــــاس : لكن ما ستاكس يضرب أيضاً.

كروبيــــــل : بالطبع، هذا يفعله كل الرجال طالما هم بصحتهم.

لكنهم لا يضربون النساء الثريات، فهذا مكتوب فى عقد الزواج. لكن ماستاكس يضرب بشكل أكثر تحّضرا من كولون، مرتان فقط فى الأسبوع. هذه نقلة حضارية جبارة، شئ يمكن أن نسميه التمدين.

بيليـــــــاس : كنت أعتقد طول عمرى أن كلمة (تمدين) هى اسم قصة الشعر الجديدة المنتشرة هذه الأيام فى اليونان. الموضة يعنى.

كروبيـــــــل : زوجى أيضا ليس سيئا، لكنه محافظ أكثر من اللازم، يمكننى القول أنه رجعى. علقة يوم بعد يوم، وثالث يوم فى الشهر طريحة محترمة من أجل حماية البهائم ــ هكذا يقولون، ونحن عندنا حمار كما تعرفين. أما الآن فقد تغير تماماً، منذ الإثنين الماضى توقف عن ضربى نهائياً. لكن الحمار لم يعد بالدار كما أن زوجى الآن أصبح رجلاً مستقيما متمسكاً بالفضيلة، منذ أن رفع القضية على طبيب الأسنان استروثيــون.

بيليـــــــاس : وابتدأت كروبيل تحكى لى القصة الحمقاء المجنونة، قصة الحمار وظله. حقيقة لا يمكننى أن أفهم ما يحدث، هذا أكثر من قدرتى على الفهم. ولكنه عندما يتوقف زوج كروبيل عن ضربها،

فلابد أن يعنى ذلك شيئا، شيئا أخلاقيا فاضلا. تريدنى أن أتحدث مع الرجل حتى يوصى أخيه. أعتقد أننى سوف أوافق على الزواج من الحداد. كروبيل معها الحق. بشرط أن يحصل على الصفقة. سأنتظر حتى يوم الأحد.. ها هو قد جاء. أقصد يوم الأحد، يوم ككل أيام الآحاد بالبلدة. فى الصباح يذهب أهل آبديرا إلى المعبد، الأغنياء إلى معبد جاسون عند الكاهن آجاثيريوس، والفقراء عند الكاهن استروبيلوس فى معبد لاتونا. وذلك لأن استروبيلوس يحكى لنا قصصاً مسلية ومثيرة، يحكى عن الآلهة والضفادع، بل إنه أحيانا يهاجم الأغنياء. وهذا يريحنا. بعدها نأكل أكلة دسمة. وحوالى الثانية بعد الظهر يزورنى ماستاكس. **" خبط على الباب ".**

ماستاكس : بيلياس! إنه أنا، ماستاكس. ماستاكس الحداد. فى موعدى بالضبط، الثانية بعد ظهر يوم الأحد.

بيلياس : ادخل يا ماستاكس **"يدخل ماستاكس "**

ماستاكس : عرفت أنك وافقت على الزواج منى. أتعرفين، لقد فزت بالصفقة! صنع ألفين خوذة حديد لسلالة البرابرة ما بعد نهر الدانوب. يسمون أنفسهم،

القوطيون. أما بالنسبة للخوذة، فيجب أن يكون في مقدمتها نسر، وعلى اليسار آلهة في يدها سنبلة، وعلى اليمين إله في يده مطرقة، في الخلفية جبل يتسلقه غزال وفي أعلى الخوذة قرنان لثور حقيقي. قطعة فنية رائعة. سوف تكون أكثر تكلفة من الخوذة اليونانية البسيطة. حتى مقاس رؤوس القوط أكبر بكثير من رؤوس اليونانيين. كما أن الخوذة القوطية تزن أربعا وعشرين رطلا. صفقة العمر. سوف تنقلنى لمصاف الطبقة الغنية، على الأقل الطبقة المتوسطة. وسوف تفتح لى أبواب السلالات الأخرى، التى يفوق عددها عدد اليونانيين بكثير

بيليـــــــاس : وهل تفكر فى أن تضربنى؟

ماستاكـــــــس : أنا؟ أضربك؟ أنا لايمكننى أن أضرب صرصارا. أنا، بمهنتى المسالمة! لا يا بيليـــــــاس، لن يحدث ذلك قط! وحتى إذا انتابتنى مرة نوبة غضب وفلتت أعصابى، سوف ترين ساعتها كم هو رقيق ضربى، انه ليس بضرب على الإطلاق.

بيليـــــــاس : اليوم، لم يعد الزوج يضرب زوجته. لقد تغير الزمن، ودخلنا العصر الحديث. أصبحنا مودرن!

حتى آنثراكس الحمَّار توقف عن ضرب زوجته.

ماستاكــــــس : آنثراكس؟ الحمَّار؟ إنه يضربها كل يوم، حتى يملأ صراخها الشارع كله.

بيليــــــاس : لقد توقف عن ذلك منذ يوم الإثنين الماضى، منذ قصته مع ظل الحمار وطبيب الأسنان.

ماستاكــــــس : وابتدأت بيلياس تقص علىَّ قصة آنثراكس المدهشة. هذا الغبى المسكين، يجب التحدث مباشرة مع كبير الكهنة، هذا وإلا ستضيع القضية بكل تأكيد. على طبيب الأسنان ألا يفتح فمه. لقد أخذ منى نصف دراخمه مقابل ضرس شبه مخلوع. وماذا تقول بيلياس الجميلة؟ توافق على زواجى، إذا كلّمتُ أخى القبطان لمساعدة آنثراكس، بخصوص قضية الحمار. سوف نساعد آنثراكس، وسوف أتزوج بيلياس. والآن إلى الميناء فورا. لقد سمعت أن أخى تيفيس قد عاد للظهور بسفينته المتأرجحة، بالطبع يجلس فى البار كالعادة فى حالة سكر شديدة، أسمع غناءه بالفعل من هنا وصوته الأجش. " **يسمع غناء تيفيس** "

تيفيــــــس : لما تشاريبيدس تنفر غضبى
وسط الأمواج

بين الصخور

وسكيلا لما تهدد

وتمد رقابها

تتابع كل سفينه تمر.

ماستاكـــــــس : أخى الكابتن، الكابتن أخى!

تيفيـــــــس : "**وهو سكران**" لماذا تفسد أغنيتى الدينية؟

إخرس يا أخى القادم من الأرض، إننى أغنى

أغنية القرصان العظيم تيفيس.

أسخر من كل العمالقة

وأعرف كيف أزوغ منها.

لا لا أخاف النار

ولا أخاف الطاعون.

وأدخل جهنم برجلى.

ماستاكـــــــس : كفاية! توقف يا أخى الكابتن عن الغناء. عندى

شئ بخصوص

تيفيـــــــس : إيريس؟ ومن هى إيريس؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل

ماستاكـــــــس : إيريس، خطيبتك!

تيفيـــــــس : خطيبتى؟ خطيبتى هى كلوديا من امفيبوليس.

إننى أعرف خطيبتى.

ماستاكـــــــس : أخى الكابتن، لقد قمت بنفسك بخطوبة إيريس

منذ ثلاثة أشهر، عندما كنت هنا آخر مرة. إنك تعرفها جيدا، الشقراء السمينة!

تيفيس : الآن تذكرت! لكن إيريس كانت سمراء ونحيفة.

ماستاكس : شقراء وسمينة يا تيفيس. صدقني!

تيفيس : صدقتك. شقراء وسمينة. لقد خلطت بينها وبين فويه من جزيرة رودوس. لا بأس سمراء ونحيفة. وماذا تريد خطيبتي الجميلة؟

ماستاكس : ألا تريد أن تزورها؟

تيفيس : طبعا أريد أن أزورها.

ماستاكس : وستحكي لها قصة الحمّار آنثراكس وطبيب الأسنان استروثيون. وكما تعرف فإن إيريس تعمل عند الراقصة تيليزيا.

تيفيس : بحق الشنابس المعتق، ابتدأ أخي يحكي لي قصة الحمار، وأنا أستمع إليه، أنظر إليه، أبصق، أتمخّط، أسكت. ثم رجاني أن أسأل إيريس أن تحكي تلك القصة للراقصة تيليزيا وافقت. أتمخط ثانية. أحك أنفي. يذهب أخي إلى غير رجعة. أخي ماستاكس! لم يعد يعجبني. إنه لم يشرب حتى كأس شنابس واحدة! إن بلدة آبديرا ليست المكان الحقيقي لكابتن مثلي. لا يعجبني

شئ فى هذه البلدة، كما أننى أجد قصة الحمار قصة تافهه وسخيفة. لا يمكن أن تحدث إلا فى قرية صغيرة كآبديرا. ثم ما هى علاقتى أصلاً بأطباء الأسنان؟ لاشئ وما هى علاقتى بأيريس؟ لا شئ أيضا. هى شقراء سمينة هذا ليس ذوقى. وهى خطيبتى! إحتمال فكثيرا ما تختلط الأشياء.

أسرق النعاج من بوليفيم.

وأسرق من هيلينا ثوبها الحريرى

مَنْ أسرق ومَنْ أضاجع

هذا لا يهمَ أى يونانى

بكم زجاجة الشنابس أيها النادل؟ ثلاثة، أليس كذلك؟ لا بأس. خذ هذه، عملة إسبانية من الذهب الخالص! اشتر خريطة البحر الأسود! آبديرا!- سوف أترنح قليلا حتى أصل إلى السفينة. لكن لا بأس سوف أصل حتى مكان القبطان سأقف كعلم يرفرف فى البحر

إلى زرقة البحر! إلى اندفاع الموج! إلى حمرة الشعاب المرجانية.

في اتساع السماء المليئة بالنجوم المنثورة!
تبتلعنى المسافات كطائر نهم!
فلتفرد الأشرعة، ولتذهب بعيدا ،
إلى شواطئ أخرى، وإلى خطيبات أخريات.

إيريس : تيفيس! كابتن تيفيس!

تيفيس : السفينة تغرق وتحتاج للإنقاذ! من يصعد هناك إلى مكان القبطان، بينما أستعد للإبحار إلى بحر الأدرياتيك؟ إمرأة سمينة شقراء! لا أذكر أين رأيتها من قبل. شئ ما يهتز أمام عينى، هل هو وهم؟، لا ليس بوهم، إنها خطيبتى! الإله نبتون وخزنى بشوكته الثلاثية. إنها إيريس، تلكأت قليلا فى الهرب منها. تشجع يا كابتن تيفيس، لقد خرجت من مآزق أكثر صعوبة فى الحبشة.

إيريس : أنت فى آبديرا يا تيفيس ولا تأتى لزيارتى؟

تيفيس : إيريس! لا أصدق! إيريس! بالطبع آتى لزيارة خطيبتى. كنت فى طريقى إليك. كنت أود أن أرتدى رداء يليق بالمناسبة. لقد أفرغت لتوى حمولة زيت كبد الحوت، ورائحتها نفاذة قليلاً. أردت فقط أن أستحم.

إيريـــــــــس : انتظرتك المساء بطوله، ولم تأت. أنت خطيبى يا تيفيس! تيفيس : خطيبك بحار! أى متعة! مخطوبة لبحار تساوى متزوجة مرتين!

إيريـــــــــس : تيفيس، جميل أن تعود إلىّ مرة ثانية! طول الوقت، وأنا لا أفكر إلا فيك! وها أنا أرتدى اليوم ثوبى مقلوباً، فقد كنت أفكر فيك. تيفيس يا حبيبى! أنظر، كيف يشع القمر على الخليج، فضة خالصة.

تيفيـــــــــس : عملة فضية من بلاد الفرس. يمكن بها فى ساموس شراء برميل من شنابس المشمش.

إيريـــــــــس : وتختفى النجوم من ضوءه اللامع. آه يا تيفيس! ملايين النجوم المشعة، تتلألأ منثورة على البحر الأسود، تتراقص هنا وهناك.

تيفيـــــــــس : غدا تأتى الرياح. والآن على أن أرحل.

إيريـــــــــس : ترحل؟

تيفيـــــــــس : بكل أسف. صفقة مهمة. سأعبر الخليج إلى إكزانثيا وأعود قريباً.

إيريـــــــــس : لقد قلت ذلك آخر مرة رحلت فيها، ولم تعد إلا بعد فترة طويلة.

تيفيـــــــــس : هل قلت ذلك فعلاً؟ الآن تذكرت! كنت أنوى العودة، لكننى ظللت حتى الفجر أشرب مع

قنصل بابيلون. لا لن يتكرر ذلك. لقد أصبحت رجلاً مستقيماً، حتى أناسب خطيبتى الجميلة. لقد فصلوا القنصل من عمله، وتنتظرنى الآن حمولة جمال، علىّ أن أنقلها على ميناء أمفيبوليس. حكومة بيللا تحتاج الجمال بشدة.

إيريـــــــــس : جمال؟ فى هذه المنطقة من العالم؟

تيفيـــــــــس : مقدونيا تريد أن تصبح الآن قوة عظمى.

إيريـــــــــس : من أجل ذلك يحتاجون الجمال؟

تيفيـــــــــس : نعم وبشدة! الجمال بالتحديد! الجمال فقط. قوافل ضخمة من الجمال. فى أيامنا هذه، لا يتحقق شئ بدون الجمال. وبقافلة جيدة من راكبى الجمال، الهجانة يعنى، يمكن لليونان أن تسيطر على العالم كله فالجمال أعلى كثيراً من الخيول اليونانية. شئ واضح للجميع، ومقنع.

إيريـــــــــس : لكنك ستعود غداً؟

تيفيـــــــــس : مبكرا! فى السادسة - إننى أشتاق لخطيبتى، فأنا رجل لى إحتياجاتى. ما رأيك يا سمينتى؟

إيريـــــــــس : خذنى معك يا حبيبى. الآن، حيث يسبح القمر على البحر.

تيفيـــــــــس : أجلس فى منتصف البحر الأحمر، دون هبة ريح واحدة، وهى تريد أن تأتى معى! يا للمصيبة!

مثل هذه الخطيبة تلتصق بك كالوطواط. والآن تذكرت لحسن الحظ، قصة ظل الحمار الملعونة. فلنجرب هذه الطريقة. رياح شديدة وأعاصير. عندما لا يفيد ذلك، سأتزوج غالباً. إسمعى يا سمينتى، عليك أن تقدّمى خدمة لى ولأخى ماستاكس، الذى يرغب فى الزواج من الخادمة، ثم حكيت لها فى ضجر القصة اللعينة إياها.

إيريس : كم هو رقيق قلبك يا حبيبى. الحمّار المسكين! سوف أحكى القصة لتيليزيا فوراً، فقلبها رقيق أيضاً أمام الفقراء والمساكين. وها أنا أقف ثانية على الشاطئ، بينما يقف حبيبى على مقدمة السفينة إنه يتأرجح، غالباً من ألم الفراق وإضطراره للرحيل، بينما تصطف البحارة حول صارى السفينة!!

تيفيس : " مغنياً " أنا ضحية لرغباتى وشهواتىّ
وأنا فخور بهذا الشرف
الذهب يتزايد فى صناديقى
والنسوان ليست من خشب

إيريس : حبيبى تيفيس! الآن تبحر سفينتك كظل أسود فى ضوء القمر الأصفر المستدير. لكنك سوف

تعود غداً فى السادسة صباحاً!

تيفيـــــــس : " **من بعيد** " النسوان ليست من خشب.

إيريـــــــس : والآن اختفت السفينة كالعادة. وأنا أقف وحدى على الشاطئ كالعادة. وليس هناك سوى النجوم وهدير الأمواج. أيضا كالعادة يا ربى! لقد نسيت تماما الراقصة تيليزيـــا ، التى سوف تذهب هذه الليلة لكبير الكهنة. من المؤكد أنها الآن تستعد وتأخذ حماما فى البانيو المرمرى من كورينث! يا حبيبى تيفيس، سأساعد آنثراكـــس المسكين من أجل عيونك هذه الليلة، وغدا سأكون زوجتك، عندما تعود بسفينتك المليئة بالجمال من إكزانثيا.

" **تختفى** "

" **الراقصة تيليزيـــــــا ترقد فى البانيو المملوء بالماء** "

تيليزيـــــــا : أخيراً ظهرت! كما ترين، آخذ حماما فى البانيو الذى صنع خصيصاً لى فى كورينث من المرمر الأسود. كم هو منعش ولذيذ أن تأخذى حماماً فى مثل هذا الطقس الحار! هذه الحرارة! صُبّى زجاجتين من لبن الحمير فى البانيو يا إيريس. هذا لذيذ! وقليلاً من اللوز المبشور ومسحوق البسلة ثم جهّزى

لى الماكياج. خذى اليوم براز التمساح المحمّص واخلطيه بالسبيداج وبطينة جزيرة كيوس واضربيه فى كوب من اللعاب المعتق. أرجو ألا تكونى قد أكلت اليوم بصلاً فى العشاء! طقس هذه المنطقة يفسد بشرتى، لا يلائمها. سأعود فى الخريف إلى ميليت، فالشتاء فى آبديرا شديد البرودة والحشرات! إلا الحشرات! الناموس والهاموش، جميع أنواع الحشرات! رغم أن بلدة آبديرا مليئة بالضفادع. أنا لا أفهم ذلك! يكفى هذا، ناولينى البشكير يا إيريس. دبابيس الشعر المصرية، كبير الكهنة كهونتى يحبّ يشوفها على، والفيونكة من جزيرة كريت، والفستان الشفاف من جزيرة كوس. الآن إلى الماكياج والعطور. وبينما أتزين وأختار القلادات والأساور والعقود، سلّينى يا إيريس واحك لى عن الشعب، أنت تعرفين، كم أحب الشعب.موت!

ايريس : سأحكى لك يا سيدتى المحترمة، قصة الحمَّار آنثراكس.

تيليزيا : حمَّار؟ مدهش! لذيذ! أنا أحب الحمَّارين. وهم يهرولون بكبرياء واعتزاز وأنفة خلف حميرهم وهى

تجرى، وهم يغنون أغـانيهم الشـعبـيـة اللذيذة. هم فـقراء، لـكن سعداء. الفـقـراء دائمـاً سـعداء فـلا همـوم عندهم. تقـصدين يا إيريس، قـضـيـة الحـمَّار وطبـيـب الأسنان الذى رفض أن يعطيـه أجـر ظل الحـمـار سوف أحكيهـا لكهـونتى. إنه يحب أيضـا الشعب جداً جداً. سوف أحكيـها له هذه الليلة وأنا فى الأوضاع المملة لتماثيل الآلهة، سوف يسترخى كهونتى أمامى على الوسائد الطرية، وسوف تمتلئ عيـناه بالدموع، وأنا أحكى لـه القصـة. ومن بعـيد تصدح موسيقى الناى الرقيقة، بينما أرفع ساقى ببطء إلى أعلى درجة ممكنة. ومن النافذة المفتوحة، تهـز الرياح ذؤابات أشـجـار السـرو، بينمـا تمتلئ السمـاء بنقـيق الضـفـدع المقدسة فى بركة المعـبد.

"أصوات الناى وأصوات الضفادع"

استروبيلـــــوس : قصة مؤثرة يا تيليزيـــــــــــا ، مؤثرة جدا. تلك التى تقصينها على، بينما تتخذين وضع بيريسفون من براكسيتيليس. والآن الإلهة نايك من ميرون: اليد اليسرى على الثدى الأيمن، الساق اليسرى للخلف قليلاً ـــ رائع ! رائع هكذا! الركبة اليسرى

مشدودة أكثر، حاولى أن تقفى على أطراف أصابع أقدامك : هكذا! هكذا! أفضل كثيراً من الأصل!!

تيليزيــــــــا : " **وهى مرهقة** " هكذا تمام؟ أيعجبك هذا؟

استروبيلــــوس : مدهشة! عظيمة! الآن أصبح من الضرورى أن تمتد دراستى إلى ثقافة أفروديت. وأريأنه من الأفضل أن نبدأ توا وفى الحال بتماثيل فيليداس، حيث تجلس إلهة الحب على حجر جوبيتر وهى تمسح على شعر ذقنه.

تيليزيــــــــا : ومن أين سنأتى بجوبيتر يا استروبيلوس؟

استروبيلــــوس : معك الحق. عندئذ، وفى هذه الحالة، أجد نفسى مضطراً لأن أقوم مقام جوبيتر، بهدف تعميق الدراسة والبحث. فلا حياء فى العلم.

تيليزيــــــــا : " **بدلال** " وتساعد آنثراكس؟ الحمّار؟ يا كهونتى؟

استروبيلــــوس : لا يصح أن أترك أحد أتباع معبدى فى مأزق. هذا واجبى. لقد رفع قضية ضد طبيب الأسنان آنثراكس. إننى أراقب طبيب الأسنان هذا منذ فترة طويلة، منذ أن أتى إلى هنا من بلدته ميجارا. منذ الأزل، ونحن نشفى جميع أهل آبديرا من أمراض الأسنان وآلامها فى معبد لاتونا. يتبرع

المرء بدجاجتين، قربانا للآله ويشفى، والآن يأتينا هذا الطبيب بعمله الحلمنتيشى. من الطبيعى أن الآلهه لا تشفى جميع الحالات، ولكن هل يتطلب ذلك تغيير طريقة العلاج تغييراً كاملاً؟ كان من الممكن أن يضحى المرء بثلاث دجاجات بدلاً من اثنتين، عندئذ ستساعد الآلهة بكل تأكيد. ماذا يقدم هذا التقدم العلمى للشعب، بديلاً للإيمان البسيط العميق، الذى نحن جميعاً فى حاجة شديدة إليه؟ الشك، لا بل اليأس، نعم اليأس هو ما يقدمّه. هذه هى الهاوية التى سوف يسقط فيها شعبنا المسكين، نتيجة ذلك التقدم. الآن، تأتى الفرصة لأجعل منه عبرة لغيره. سوف أنكل به تنكيلاً. سوف أستخدم كامل سلطتى وقوتى ضد طبيب الأسنان. غداً ستنعقد اللجنة الثقافية للبرلمان، سوف أرتب مع بعض القضاة الذين يقدرون معبد لاتونا وأتباعه. لقد ضاع طبيب الأسنان. انتهى. والآن نعود يا ابنتى الجميلة إلى وضع أفروديت. موسيقى الناى.. أعلى أعلى.

آجاثيرســــــــوس

" كبير الأساقفة " : لا يا كبير الكهنة. طبيب الأسنان لن يضيع، حتى

ولو كان الحمّار إبنك شخصياً! أعتذر أيها السيدات والسادة أننى اضطررت لمقاطعة المبجل كبير الكهنة بطريقة لا تليق، لكننى أنا آجاثيرسوس بحكم منصبى ككبير أساقفة مطرانية جاسون يجب أن أعارض دائماً كل ما يقوله كبير كهنة معبد لاتونا بشكل أو بآخر. اليوم لم يعد المرء يؤمن بالضفادع وبقصص الآلهة السخيفة إياها، نحن فى حاجة لإيمان جديد، إيمان بالإنسان هل يجوز أن يفضل حمارعلى ابن آدم؟ الإنسان، ذلك الكائن الجميل،الذى يمكن أن يأخذ مكان الشمس الساطعة؟ الإنسان وليس الحمار. نحن فى موقف صعب بالفعل يا سيد استروبيلوس، إنها نهاية الفكر الرجعى المحافظ تحت كل الظروف. وكالعادة، تبدأ بتقديس حمار وتنتهى بالقتل الجماعى، نحن نعرف القصة جيدا ونعرف ملامحها. هذا هو لب القضية أيها المبجل استروبيلوس، الذى دفع السيدة الجميلة كلو زوجة طبيب الأسنان أن تأتى إلىّ أمس بعد منتصف الليل لتحكى لى الواقعة بطريقة عاطفية حنونة، وبالتفصيل. السؤال الجوهرى هو : الإيمان

بالإنسان أم الإيمان بالضفادع والحمار؟ هذا هو السؤال !!!! الحق معك، غداً ستنعقد اللجنة الثقافية للبرلمان، وأنا أيضا أعرف بعض القضاه فى آبديرا. سوف نرى أيها القديس، سنرى!

فيليبيدس : لقد رأيتها أنا أيضاً قاضى البلدة، فيليبيدس. بكل أسف كانت النتيجة تدعو للاستغراب والدهشة! يجب على الكهنة الكبار ألا يجعلوا أنفسهم مدعاة للسخرية وينشغلوا بمثل هذه القصص التافهة، فالسلام هو هدفنا النهائى الجليل. لقد اندفع الكهنة بحدة دفاعاً عن المبادئ، وهذا ليس بحسن، إذا ما تعلق الأمر بالحمير والحمّارة. بدلاً من هذا السخف، فى أن يقتصر دفاع كل منهما فى قضية ظل الحمار، وسّعوا الموضوع بأقصى طاقاتهم إلى أعلى درجات السخف، وعملوا من هذه القضية قضية فلسفية تتعلق بالمثل العليا والمبادئ، ويعلم الله كيف ستكون النهاية. لقد كانت كارثة جلسة القضاة العشرة عند النظر فى قضية ظل الحمار. لقد لاحظت منذ بداية الجلسة، أن هناك شيئاً ليس فى مكانه، عندما افتتحت الجلسة وأعطيت الكلمة

للمدعى العام ميلتياس. قلت لنفسى، ماذا يحدث هنا فعادة يقف القضاة غير مبالين بدعوى المدعى العام، يوافقون عادة على ما يقول وتنتهى القضية على أحسن وجه. بهذه الطريقة كنا نصل إلى الحكم العادل دائما فى آبديرا. ماذا يحدث اليوم بحق الشيطان؟ اليوم يجلس القضاة العشرة بوجوه عابسة ويستمعون للدعوى بانتباه شديد، بدلاً من أن يذهبوا للبوفيه ليأكلوا السجق المشوى والتورتة! شئ ما غير طبيعى! يوم سيئ للعدالة كما يبدو! أنزعج دائماً، كلما طالت كلمات السادة القضاة، قريباً سيصفّق بعضهم، وسيصفّر البعض الآخر. لم أرهم قط بهذا الحماس.

" **صرخات منفعلة**": كفاية! استمر! اقفلوا الموضوع! إستمروا! إستمروا!

فيليبيدس : " **مجلجلاً بالناقوس**" هدوء! أرجو ألا يقاطع أحد جناب المدعى العام.

ميليتياس : وبناء على ما تقدم، أيها السادة المبجلين قضاة بلدة آبديرا المنتخبين، يمكننا القول : أن ظل جموع حمير مقاطعة ثرازيا، السابق منهم واللاحق، الحاضر منهم والغائب، واستناداً على الواقعة المادية التى أمامنا بشكل مباشر، يعتبر ظل الحمار

جزءاً لا تنفصل ملكيته عن ملكية الحمار نفسه الذى لا ينفصل بدوره عن المالك، مثله فى ذلك كمثل ظل جبل آثوس أو برج بلدة آبديرا، كالهواء الذى نتنفسه جميعاً. وعليه، فان الظل السابق الذكر في حد ذاته لا يجوز توريثه، أو بيعه أو إهداءه أو إستئجاره أو التصرف فيه بطريقة أو بأخرى ومعاملته كشئ مستقل منفصل عن الأصل لذا، لذا ولكل هذه الأسباب وأسباب أخرى نرى رفض الدعوى المرفوعة من الحَّمار آنثراكس ضد طبيب الأسنان إستروثيون! " **أصوات معترضة**".

القاضى الأول : غير معقول!

القاضى الثاني : ضاعت العدالة فى آبديرا!

القاضى الثالث : عاش ميليتياس!

القاضى الرابع : يسقط الحمار!

القاضى الخامس: فضيحة!

فيليبيدس : "**مجلجلاً بالناقوس**" هدوء! أرجو من القضاة العشرة الهدوء ! إذن، ليس أمامنا سوى التصويت، إذن فلنصوت : الذى يوافق على رأى المدعى العام يرفع يده. خمسة قضاة غير موافقين.

القاضى الثانى : وخمسة غير موافقين!

" **أصوات وصرخات متداخلة** "

بوليفونـــــوس : أطلب الكلمة!

" أصوات وصرخات"

فيليبيـــــدس : **" مجلجلاً بالناقوس"** هدوء!! الكلمة الآن للمحامى بوليفونـــــوس

بوليفونـــــوس : السادة القضاة العشرة المبجلين لبلدة آبديرا. خمسة قضاة صوّتوا لصالح الدعوى الغريبة، التى لم نسمع طوال حياتنا عن مثلها قط فى ساحات المحاكم. هل يجرؤ المرء على أن يكون ضد البراءة، ضد الفضيلة، ضد الفقر، ضد الفهم السليم والإحساس بالعدل وبالظلم؟ هل يمكن رفع دعوى بأن تلغى الإنسانية مرة واحدة وإلى الأبد؟ معادلة واضحة : عندما يستحيل فى هذه البلدة تأجير ظل حمار فعلى الاقتصاد الحر السلام، فهذا تعارض أساسى وفى الصميم مع حق الملكية الفردية ــ وإن كان ذلك كذلك، فعلينا أن ندفن بأيدينا الاقتصاد الحر، ونمشى فى جنازته، ونعود للبداية مرة أخرى، لمرحلة إنسان الكهوف البدائى.

فيليبيـــــدس : **" مجلجلاً بالناقوس "** أدخل فى الموضوع!

بوليفونـــــوس : سأدخل فى الموضوع. إننى أتساءل : ترى ما هو السبب الدنئ الذى دفع ميليتياس لأن يقف ضد

العدالة، ضد الرأى العام وأن يسخر من تاريخ بلدتنا البطولى ومثلها الرفيعة العظيمة؟

فيليبيدس : " **مجلجلاً بالناقوس** " أدخل فى الموضوع!

بوليفونوس : إننى أطرح السؤال على ميليتياس ابن الإنسان، أقدم جنس على هذه الأرض، قل لى لماذا قامت بزيارتك ليلة أمس الأول، من الساعة الحادية عشر وحتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل السيدة كلو زوجة طبيب الأسنان؟ " **همهمات وأصوات**"

بوليفونوس : ترون بعيونكم أيها الآباء المبجلين، كيف يحمرّ وجه ميليتياس، وكيف يُخفى طبيب الأسنان وجهه. أى عصر بلا أخلاق نعيش فيه! إننى أتساءل : كيف يمكننا أن نطلب من المدعى العام أن يحافظ على الفضيلة، بينما قمة آبديرا، تاج عقلها، الحافظ لتراثها وتقاليدها، يمارس الرذيلة والفسق والفجور علانية، ويشتت الأسر على مرأى من الجميع؟ أقصد بالطبع كبير الأساقفة آجاثيرسوس أيها القضاة المحترمين!

القاضى الأول : غير معقول! غير معقول!

القاضى الثانى : كفاية!

القاضى الثالث : استمر!

القاضـــــى الرابع : هذه إهانة!

" القاضى يجلجل بجرسه. هدوء "

بوليفونـــــــوس : إننى أؤكد هنا أن القضاة الخمسة، الذين وافقوا على الادعاء الظالم المجرم الذى قدمه ميليتياس، جـمـيـعـهم من أتبـاع كـبـيـر الأسـاقـفـه آجاثيرســــــوس. لقد اجتمعوا معه يوم الإثنين الماضى، بعد نهاية اجتماع اللجنة الثقافية للبرلمان إجتماعاً مغلقاً. الشهود جاهزين! فى أى وقت تحدده المحكمة! وهم يقسمون بأغلظ القسم وبالضفادع المقدسة، إن القضاة الخمسة المذكورين قد عقدوا إجتماعاً مغلقاً مع كبير الأساقفة آجاثيرســــــوس. إننى أتساءل : ما هو الهدف وما هو القصد من وراء هذه المفاوضات والمداولات السرية الغامضة مع نيافة كبير الأساقفة؟ أتساءل ثانية : ترى أيها السادة الأفاضل، هل هناك علاقة ما بين آجاثيرســــــوس وطبيب الأسنان استروثيون؟ لا أتساءل، بل أؤكد : نعم، هناك علاقة! " **همهمات وأصوات**"

بوليفونـــــــوس : احذرى يا جمهورية آبديرا! فالقتلة وراء ظهرك مشرعين خناجرهم! أحد نبلائك وأحد كهنتك وخمسة من قضاتك، كونوا مع خالع الأسنان

الأجنبى الآتى من ميجارا عصبة ضدك وضد وجودك !!

فيليبيدس : " **مجلجلا بالناقوس** " ادخل فى الموضوع!

بوليفونوس : سأدخل فى الموضوع جناب القاضى. لقد انكشف لنا، أن كلو زوجة طبيب الأسنان امرأة من أكثر النساء سحراً وغواية وإغراء فى التاريخ، إنها تشبه ميديا! لقد ذهبت قبل ذلك بيومين إثنين، ليلة السبت، فى نفس الوقت، ما بين الساعة الحادية عشر وحتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، فى هذا التوقيت الغريب المريب، إلى معبد جاسون ومن كان فى إنتظارها هناك؟ كبير الأساقفة آجاثيرسوس !! شخصياً! بلحمه وشحمه!! إن شعب آبديرا ينتظر التفسير!

استروثيون : لا! لا! كذب! كذب وافتراء!

فيليبيدس : هدوء! خذ طبيب الأسنان بعيدا أيها الحاجب!

فيزيجناتوس : أيها السادة!

فيليبيدس : " **يجلجل بناقوسه** " هدوء! الكلمة الآن للمحامى فيزيجناتوس

فيزيجناتوس : جناب المحكمة المحترمة. أيها القضاة الشجعان. فى هذا المكان، فى هذا المبنى التى عمت شهرته الآفاق، مبنى المحكمة العتيق، وفى حضور وفى

مـواجـهـة تمثـال العـدالة، التـى نحن جـمـيـعـاً فى خدمتـها ، إسمحوا لى بأن أقول كلمـة، أقولهـا دون مساومة. أسرعوا أيها القضاة المحترمين، أسرعوا وأحضروا كبير الأساقفة آجاثيرســـــوس ومعـه كل طـاقم الأسـاقـفـة وكل الراهبـات العـذراوات القديسات، أسرعوا وأحضروهم فورا حتى يقوموا بتطهـيـر هذا المكان الذى قـام بوليـفـونـــــوس بتلويثه وتدنيسه! " **همهمات وتحركات**" قضاتى المبجلين! آبائى القديسيين! ما هو هذا الشئ المنفّر الذى يجـعلنا جـمـيـعـاً نرتعش من الخـوف، والذى يعـمل على إبعـاد كل فـرد مـتـمدين عن هذه البلدة؟ السيـدة كلو آنثراكـس، سيـدة فـاضلة أصـيلة، من سـيدات البـيـوت المحافظة فى آبديرا ، سـيـدة ذات حسب ونسب، بنت الضابط ستـيلبون، زوجة طبيب الأسنان الدكتور استروثيـون، أقدر أطباء الأسنان فى المنطقة بأسرها ، ذهبت ليلة أمس ما بين الحادية عـشـر مـسـاء والواحـدة بعـد منتـصف الليـل لزيارة ميليتياس. حسناً. لقد حدث ذلك فعلاً. ثم يواصل بوليفونــــوس بحمـاس شديد، مؤكداً أن نفس السيدة، التى ترون زوجها هنا منهاراً على مقعده،

قد قامت بزيارة المتنيح الأكبر كبير الأساقفة
آجاثيرسوس بالليل. فى ساعة متأخرة فعلاً،
بعد منتصف الليل، لكن بحق مثلنا المقدسة

فيليبيدس: أدخل فى الموضوع!

فيزيجناتوس : هل يصح أصلا، أن يستنتج المرء ما استنتجه بوليفونوس؟ لا وألف لا! هل نشك للحظة فى أمهاتنا وزوجاتنا وبناتنا لو ذهبن فى ساعة متأخرة من الليل لزيارة كبير الأساقفة؟ آبديرا تسقط يا آبائى القديسيين، آبديرا تنهار عندما نلقى ببذور الشك فى نقاء وحصانة زوجاتنا. بمن يدعونا بوليفونوس لأن نشك فيه أيضاً، إذا سمحنا له بذلك؟ من سوف يمرّغه فى القاذورات؟كلنا! سيمرغنا! كلنا بلا استثناء فى القاذورات! لقد أكد بوليفونوس أن اللجنه الثقافية للبرلمان قد انعقدت يوم الإثنين الماضى. حسنا. لقد حدث ذلك فعلا. لكن، لم يكن هناك جاثيرسوس كبير الأساقفة وحده، بل كان هناك فى نفس الوقت كبير كهنة معبد لاتونا أيضاً المطران استروبيلوس. ولقد ثبت أنه أيضا قد عقد اجتماعا مغلقاً مع خمسة قضاة آخرين، الذين صوتوا لصالح الحمّار.

أتساءل : ترى ما هى العلاقة المحتملة التى يمكن أن تربط بين المطران كبير الكهنة وحمّار سكير؟ حمّار سكير

القاضـــــى الأول : كان. كان كذلك. لم يعد يشرب الآن!

فيليبيـــــــدس : هدوء! " **يجلجل بالناقوس** "

فيزيجناتـــــوس : كان يسكر وسيسكر ثانية. لن تقنعنا التمثيلية الكوميدية للفضيلة المؤقتة التى ألّفها له المحامى الزميل الفاضل. وإنى لأتساءل ثانية : تُرى، مَنْ يزور المطران كـبـيـر الكهنة استروبيلـــوس؟ مَنْ يزوره بعد منتصف الليل؟مَنْ يقف فى رداء شفاف أمام النافذة بالغرفة المضاءة، ويأخذ أوضاعا متعددة، تثير الناس فى الشوارع؟ مَنْ يفعل ذلك؟ من؟ إنها الراقصة تيليزيـــــــا. " **همهمات وأصوات** "

فيزيجناتـــــوس : أتساءل : ترى ما هى العلاقة بين الراقصة المغرية بكباريه البلدة وبين الحمّار آنثراكس الذى تفوح منه رائحة الثوم؟ دعونا نتابع سويا تلك السلسلة المشئومة الكريهة ونكشفها. خادمة تيليزيـــــبا الراقصة مخطوبة

لقبطان سكير، القبطان له أخ حداد، هذا الحداد متورط فى صفقة خوذات لسلالات بدائية همجية، ويحب خادمة سيئة السمعة، هذه الخادمة تعتبر أعز صديقة لزوجة الحمَّار، الذى يضربها يوميا وبعنف، والتى يريدها أن تتوسط له فى زواجها منه.

القاضى الأول: لم يعد يضربها!

فيزيجناتوس : سيعاود ضربها. لا، لن يغشنا هذا التحسن الشكلى المؤقت لذلك الحمَّار الفج، ولن يمنعنا من توجيه السؤال لنيافة كبير الكهنة معبد لاتونا : هل تنكر تلك الشبكة من العلاقات يا استروبيلوس؟

القاضى الأول : إنها فضيحة!

القاضى الثانى : افتراء!

القاضى الثالث : يسقط الرجعيون من معبد لاتونا!

القاضى الرابع : يعيش آجاثيرسوس " **صرخات. صوت الناقوس مجلجلا. تعلو الضجة وتزداد. يعقبها صمت مطبق.**"

فيليبيدس : لقد توقعت ذلك. أن لا ندخل فى الموضوع، ونظل نتحدث عن المثل العليا والمبادئ.

وابتدأت المعركة. الحمَّار يضرب طبيب الأسنان، طبيب الأسنان يضرب المدعى، المدعى يضرب بوليفونوس، بوليفونوس يضرب فيزوجناتوس، فيزيجناتوس يلبسنى الناقوس، لأننى أحلت القضية إلى مجلس المدينة. حاجب المحكمة يضرب الحمَّار. والقضاة العشرة يضربون كل ما يقع تحت أيديهم ويضربهم الجميع وفى النهاية، ذهب كل منا ينزف دما إلى منزله. ذهبت أنا إلى غرفتى والقضاة إلى البلدة، وذهب الحمَّار مع المحامى بوليفونوس إلى شارع جاسون، بينما ذهب طبيب الأسنان مع محاميه فيزيجناتوس إلى حى الفيلات.

استروثيون : اللعنة على مدير جمعية استيراد العبيد فى جيرانيا! كل ذلك بسبب آلام أسنانه! وما ذنبى أنا؟ لقد ضاع منى نصف زبائنى على الأقل! لقد جاء فى الحال فنى أسنان من بيزنطه شاب غير متعلم، لا يتقن اللغة اليونانية، وفتح محلا فى حارة اللقلق، ووضع ضفدعة حية على مقعد العلاج! غير معقول يا سيد

فيزيجناتـــــوس! غير معقول! الساعة الثانية
عشرة فى معبد جاسون! يجب أن أطلق زوجتى،
إنها عملية مبدأ! مبدأ وكرامة! حقيقة الأمر،
لقد مللت هذه القضية، وأفضّل أن أتنازل عنها!

فيزيجناتـــــوس : ماذا تقول يا دكتور؟ تتنازل!؟ البلدة كلها
تنتظرك! المنطقة بأسرها تتحدث عنك! وتريد
أنت أن تتراجع فى هذه اللحظة التاريخية!؟ لقد
فقدتَ زوجتك. هذه حقيقة. لا بأس. وضاعت
نصف عيادتك. حقيقة أيضا. أيضا لا بأس.
لكن القضية الآن أصبحت قضية مبدأ، قضية
الإنسانية! الإنسانية جمعاء! أربعون دراخمة
أخرى، وسأسحق العدو سحقاً!

بوليفونـــــوس : إنه واجبك المقدس يا آنثراكس كأحد أفراد
البروليتارياوكممثل للطبقة العاملة، أن تناضل
ضد الظلم الذى لم يضرّك وحدك، بل سبّب
الضرر لجميع الحمّارين. فرصتك عظيمة يا
رجل! فرصة تاريخية! أربع دراخمات أخر
وسيتحقق لنا النصر!

آنثراكـــــس : لم يعدْ معى نقود يا وكيلى! توقّف الحمار عن
العمل، رهنت الفراش والأثاث. حتى ابنتى
الصغيرة كما تعلم، بعتها كعبدة للعجوز
بامفوس.

بوليفونـــــس : هل تريد أن تتوقف عن الكفاح قبل الوصول إلى الهدف بفركة كعب؟ في قضية مضمونة.

آنثـراكـــــس : لن أتوقف! سنواصل يا سيـدى! سنواصل!حـتى آخرنَفَس!

بوليفونـــوس : أنت رجل عاقل. احضر النقود غداً، حتى نستكمل الإجراءات، ونصل بهذه القضية التاريخية الرائعة إلى نهاية سعيدة، ينتظرها الجميع. لقد وصلنا إلى حـارة أبوللو، يجب أن أتركك الآن ياعــزيزى "**ينصرف**".

آنثراكـــــس : سوف يذهب للعجوز بامفوس. أربع دراخمات أخر! زيادة على الأربع دراخمات الذى أخذها من قبل! هذا يعنى : سيبقى لى أربع دراخمات فقط، حمار جديد يعنى، لا بأس. لا مفر، يجب أن أتحمل من أجل الدراخمات الثمانية التى فقدتها. الدور الآن على زوجتى، كـروبيـل، سـوف يشـتريها تاجـر الخـمور كوراكس. لا يوجد حل آخر! لقـد مررت بظروف أكثـر قسـوة، لم أنس أيام الجوع! ها هو ليونيداس يقف أمام البار ولا يلقي التحية،لأننى لم أعد أذهب للبار لأشرب. ليس بيدى حيلة يجب أن أظل مستقيماً، فالأمر ليس فى يدى وحدى،

فأنا الآن ممثل الشعب. حتى الغسيل المبلول اختفى من مدخل البدروم! كروبيل! كروبيل! أين أنت يا إمرأة؟

كروبيــــــــل : العصيدة جاهزة، لكن لا يوجد ثوم بالبيت.

آنثراكــــــــس : لم يعدْ عندنا ثوم أيضا! بلعت العصيدة. أيام صعبة فى انتظارنا يا عجوزتى! زامت المرأة كعادتها ونظرت إلى. يجب أن ندفع للمحامى أربع دراخمات أخر.

كروبيــــــــل : لم نعد نملك شيئا يا رجل!

آنثراكــــــــس : ليس هناك بديل آخر، يجب أن أكسب القضية، حتى ندفع الديون التى علينا.

كروبيــــــــل : حتى ابنتنا بعناها!

آنثراكــــــــس : كان يجب أن نفعل ذلك،. فالمحامى لابد وأن يعيش هو الآخر.

كروبيــــــــل : من المؤكد أنه يعيش بشكل طيب.

آنثراكــــــــس : لقد تحدثت مع كوراكس تاجر الخمور. مكان طيب بالنسبة لك هناك. سوف يعطينى خمس دراخمات ثمنا لك. شغل بسيط وقليل، سوف تقومين بالطبخ له فقط. إن كوراكس رجل قلبه طيب وكريم لن يقوم بضربك أو شئ من هذا القبيل. إنه مكان

مناسب تماما." **كروبيل لا تعلق، تنظر بعيدا** " لقد كنت إمرأة طيبة يا كروبيل، أصيلة. يجب أن أقول، إن العصيدة كانت دائما طيبة، العصيدة بالثوم." **كروبيل صامتة** " قولي شيئا يا كروبيل!

كروبيل : متى يمكنني الذهاب إلي كوراكس؟

آنثراكس : فورا! الآن! متى تودّين. لم تقل شئيا. وابتدأت في لم حاجياتها. ايشارب، هدية من أمها. صورة آرتيميس بالقرب من السرير.. صندل المناسبات. أما صورة زفافنا أمام معبد لاتونا والتي أخذها لنا المصور بيليروفون، فقد تركتها في مكانها.

كروبيل : إذن، الوداع يا آنثراكس!

آنثراكس : الوداع يا كروبيل! كنت إمرأة طيبة. زوجة أصلية وشجاعة "**خرج كروبيل فيندفع فأرا ضخما من الركن** " دائماً، عندما تخرج كروبيل، تظهر الفئران تجذبهم رائحة العصيدة " **تسقط الدموع من عينيه**" ليس هناك كأس شنابس، يمكنه أن يهدئني. هذا هو العذاب! العذاب بعينه! وعندما أكسب القضية سأسترد كروبيل ثانية وأشتريها، بدلاً من أن أشترى حماراً آخر. والآن يظهر فأر آخر. وها أنا

أقف ثانية فى شارع جاسون، الشارع الذى وقفت
فيه طول عمرى. شارع جاسون هو شارع جاسون.
كما هو دائما، يعج بالبشر، خليط عجيب من
البشر ميدان السوق ميدان لاتونا، البارات، كلها
تعج بالبشر. يتحدثون ويثرثرون ويحتدون، كلام
فى كلام ! ولا شئ غير الكلام! ماذا يحدث فى
بلدتنا آبديرا ؟ اسمى يتردد على ألسنة الجميع
يصفقون ويهللون ويصفرون ويتشاجرون!! ما الذى
يحدث فى بلدتنا ؟

رئيس جمعية السياحة: كرئيس لجمعية السياحة أقول : إن هذه القضية أكبر
بكثير مما تبدو. لقد فتحت علينا أبواب جهنم! لقد
أصابت السياحة فى مقتل! وإلا فما هو السبب -
أيها الأصدقاء والصديقات أهالى بلدة آبديرا
العظيمة بتاريخها العظيم ـــ ما هو السبب الذى
أدى إلى انخفاض معدل السياحة وهروب السياح
إلى بلدة إكزانثيا، تلك المدينة التى لا تتمتع بعشر
جمال الطبيعة كبلدتنا، والتى ليس بها مسرح ولا
متحف واحد، ولا حتى قاعة للمؤتمرات؟ إن ضفادع
كبير كهنة لاتونا، التى تتقافز فى جميع أرجاء

البلدة، فى ميدان السوق وفى حديقة البلدية، فى كل مكان، تثير القرف عند السياح بمنظرها المقزز. أضف إلى ذلك وقاحة الحمّار الذى يطلب نقودا مقابل ظل الحمار. خطر واحد يهددنا جميعا أيها الأصدقاء والصديقات أهالى بلدة آبديرا، خطر واحد " **قطع**".

رئيس جمعية الرفق بالحيوان : أيها الآبديريون والآبديريات باسم جمعية الرفق بالحيوان، التى أنا رئيسها، أقول : إن هذه القضية قد فتحت عيوننا على ما يدور ويحدث : الإنسانية! الإنسانية الضائعة! وكرئيس لجمعية الرفق بالحيوان، أسجل هنا اعتراضى القوى على المعاملة القاسية للحمار، من طرف طبيب الأسنان، الذى نعرف جميعاً وحشيته فى خلع أسناننا! فالذى فعله هذا الرجل القاسى ضد مخلوق ضعيف مغلوب على أمره، لا يمكن أن يصدّق! ليس فقط لأنه جلس فى ظل الحمار البرئ لا، فهذا لا يكفى، بل كان يركب الحمار، ويجلس على ظهره، بدلاً من أن يمشى بجواره كأى رجل متحضر! وعليه، فاننى

أطالب كل محبى الحيوان فى بلدتنا آبديرا،
أطالبهم بـ...

مدير شركة المرمر : نحن لا يمكن أن نُخدع! أقولها بصوت عال، مدوٍّ كمدير لشركة المرمر، لقد انتهى عصر البناء بالطوب إلى غير رجعة، ودخلت منطقتنا فى عصر جديد، عصر البناء بالمرمر، إننا نتقدم، ولا أحد يمكنه أن يقف فى طريقنا! إن الوقوف ضد طبيب الأسنان وقوف ضد الصحة العامة، وضد شركتنا فى نفس الوقت ــــ شركة المرمر المساهمة. فالذى يبنى بالمرمر، يحافظ على صحته! الذى يبنى بالمرمر يعيش طويلا!!

رئيس حــــزب
العمال المقدونى : إن الأرستقراطية وكبار رجال المال فى أثينا لن يتمكنوا من تضليل الشعب العامل. وبقبضات البروليتاريا الحديدية، التى ينضح منها العرق، ستتكسر أسنان رجال البورصة، التى يرقّعها لهم طبيب الأسنان. أن يجلس هذا الديموقراطى المرفّه، أحد أفراد صالون الديمقراطية اليونانية على ظهر الحمار ويدلدل رجليه فى وجهنا، يوضّح ما يقصد ويؤكد أنه ضدّنا، ضدنا نحن! على البروليتاريا أن

تُستفزّ وتثور! إنها مستفَزّة بالفعل! لأعلى مراحل الاستفزاز ! " **صيحات** "

رئيس مجلـــــس المدينة هيبسيبوس : كرئيس لمجلس المدينة أقول : حان الوقت! حان الوقت بأن نجعل من مدينة آبديرا مدينة عصرية، تقف على أعلى قمة من قمم المدنية __ هذا هو هدفنا الأساسي! القضية باختصار هي : إما أن تُساير آبديرا التطور السريع لبلاد اليونان، أو أن تغرق كلية في ظلام العصور الأولى مثل مقاطعة ثرازيا، وتظل محوطة بمستنقعاتها الكريهة الرائحة، ونقيق ضفادعها المزعج، وقرف حمّارها التي تفوح منه رائحة الثوم! يا أهل آبديرا، فلنتخلص من بقايا البدائية والهمجية التي تعشش بيننا! ولنسحق الخرافة بأقدامنا! أقولها بهدوء : لا فائدة، طالما هناك بيننا مواطنون أغبياء مثل هذا الحمّار، يلوثون المدينة ويهددونها بممارساتهم الحمقاء، تحت أعين السلطة، دون عقاب! الزمن يجري يا أهل آبديرا! نحن نعيش في مرحلة تاريخية فاصلة في تاريخ العالم! وسط التناقضات والخلافات الحادة بين أثينا واسبرطة بين العقل

والمادة، بين الحرية والعبودية! فلنتحد يا أهل آبديرا ولنتماسك! ولندافع سوياً عن الحرية فى الحزب الجديد الذى أعلن إنشاءه فى التو واللحظة، الحزب الذى يلتف بقوة حول طبيب الأسنان، حزب الظل!

هتافات : عاش هيبسيبوس! عاش رئيس مجلس المدينة! عاش الظل! عاش الظل!

رئيس اتحاد الحرفيين : إنهم يسخرون من مستنقعاتنا، ومن ضفادعنا ومن ثومنا، وهم يقصدون الشعب! نعم إنهم يسخرون من الشعب! يمجّدون التحديث والتمدين وهم يقصدون الحياة بلا ضابط ولا رابط وبلا أخلاق! اليونان بلاد عظيمة، لكن ثرازيا أعظم، فالوطن دائما هو الأعظم! ثرازيا أولا! ثرازيا أولاً وأخيراً! أيها الثرازيون اتحدوا! اتحدوا جميعا فى حزب الحمّار! ذلك الحزب الذى تعلّم الكثير من هذه القضية، التى كشفت الأشياء أمام أعيننا فليسقط أعداء ثرازيا! أعداء ثرازيا هم أعداء آبديرا فليسقط الليبراليون!

هتافات: عاش رئيس اتحاد الحرفيين! عاش الحمار!

مدير مصانـــــع

السلاح ثيكيديدس: اكتب يا بامفاجوس : بمشاركة قلبية حارة وتعاطف بلا حدود ، نُتابع بدقة واهتمام، معركة حزبكم الشجاع، وكفاحه فى تحقيق العدالة. أشارككم الرأى كلية وبقوة، إن السلام هو هدفنا النهائى، لكنه فى مواجهة النوايا الشريرة للحزب الآخر، يجب أن نكون على أعلى درجة من درجات الاستعداد لأسوأ الإحتمالات الممكنة، وغير الممكنة. إن شركة ثيكيديدس لسلاح على أتم استعداد للوقوف بجانبكم فى صراعكم وكفاحكم ونضالكم، من أجل المحافظة على القيم العليا وبهدف تحقيق السلام. والشركة تنتهز هذه الفرصة لتقدم لكم عرضاً خاصا عبارة عن مجموعة من السيوف النادرة، ثبت بالتجربة العملية فعاليتها المدهشة، صُممّت خصيصاً للاستخدام فى الحروب الأهلية، وفى معارك الشوارع المباشرة بالسلاح الأبيض وجها لوجه، وبسعر مغر جداً، كما هو مبيّن بالقائمة المرفقة. كما نودّ أن نذكّركم بمجموعة الحراب الشهيرة ماركة باكس باول، التى أشاد بها المقاتلون من الجبهتين المتحاربتين فى صقلية. كما

أنه قد وصلتنا حديثا رسالة جديدة تحتوى على كمية لا بأس بها من دروع خشب الأرز اللبناني، المغطى بجلد الحمار الوحشى. وشركة ثيكيديدس للسلاح بكورنث على استعداد للتوريد الفورى دون تأخير، وفى انتظار ردكم الكريم، على أحرّ من الجمر، تقبلوا أسمى تحياتى. المخلص ثيكيديدس. انسخ صورتين من هذا الخطاب يا بامفاجوس، وأرسل نسخة لكل حزب منهما فى آبديرا.

تيفيس : بصوت عال

زيوس العظيم يجلس على عرشه
يرسل صواعق البرق بلا نتيجة
حتى يحميكم منى
الرجل العجوز فقد مهارته
وبمهارة فائقة أشق البحر بسفينتى
وأرسو على كل الشواطئ
لن تحميكم الآلهة
ولن تحميكم الحراب منى
أقف ثانية على سفينتى
الشنابس فى معدتى
والنجوم فى شعرى!
القمر على كتفى

والزيت والطحالب على ملابسى

محاطا بالحديد والبضائع

أيها الرجال هناك! أيها المرشدون! الشاطئ!

حـــائط من ســـاحل العـــاج ينـدفـع وسط الظلام!

الشاطئ!

أى شاطئ

أية مدينة

أيها الأوغاد

أية مدينة تشتاق لقبلاتنا

ولخناجرنا

وتمد أذرعتها السمينة نحونا

تدعونا.

دعنا نرى ماذا هناك من صفقات!

الرجـــــل الأول : كابتن تيفيس! كابتن تيفيس!

تيفيـــــــس : من هناك؟ من ينادى؟

الرجـــــــل : رجل، لا يريد أن يذكر اسمه.

تيفـــــــيس : أهلا بك يا رجل. هذا يعجبنى. أحب ذلك، عندما يخفى رجل اسمه ولا يقوله لكل عابر. هذا يعنى، أن هناك صفقة طيبة. تستحق. ماذا تريد؟

رجـــــــل : أريد أن أحرق البلدة.

تيفيس : يمكنك أن تطلب أى شئ من كابتن تيفيس. كابتن تيفيس على استعداد دائم لفعل أى شئ يُطلب منه : نسوان، حرائق، شنابس، قتل. كل شئ بثمنه. كله بثمنه. وبسعر معقول. قل لى، ما اسم هذه البلدة؟

الرجل : آبديرا. البلدة اسمها آبديرا.

تيفيس : آبديرا. اسمعنى جيداً يا شنابس، اسمعنى جيدا وأنت فى معدتى : البلدة اسمها آبديرا، البلدة التى يعيش فيها! أخى هكذا يدور كل منا خلف الآخر فى جنون، أنا والشنابس، يدور كل منا خلف الآخر، على حافة الهاوية المفضضة. وأين تريد الحريق؟

الرجل : فى معبد لاتونا، أريد الحريق فى معبد لاتونا.

تيفيس : معبد الضفادع! سوف تحترق آلاف مؤلفة من الضفادع المقدسة، وستشوى هذه الكائنات الصغيرة. أترى أيها الشنابس، سوف نشعل السماء بالشعلات المقدسة الورعة. ولماذا تريد أن تحرق المعبد، أيها الرجل المتأنق؟

الرجل : حتى نتقدم يا كابتن. يجب أن نخلع الملابس القديمة ونلقيها خلفنا، حتى يمكننا التقدم. فالقضية قضية الحرية!

تيفيــــــــــس : هل تسمع يا شنابس، القضية قضية الحرية! وعندما تكون القضـيـة قـضـيـة الحرية، يكون الحريـق مقنعاً وسهلاً. إنهم يستخدموننا لتثبيت القيم العليا، ولتحقيق الأهداف العظيمة، أليس كذلك؟ نحن الإثنين أنا وأنت يا شنابسي. هكذا كان الوضع دائما، في كل شاطئ، وفي كل ميناء، في كل أرض، وتحت كل شمس! المثل العليا هي التي تهمّكم، وما يهمني هو الشنابس، والنسوان، والذهب. لكن المثل العليا لاتتحقق قط بدوني، الممتلكات الثمينة لا تتحقق دون خنجري، إنهم يقدّروننا، يعرفون قيمتنا يا شنابس، يعرفون قيمتنا، ثمننا. كم ستدفع يا رجل؟

الرجـــــــــــل : خمسمائة دراخمة.

تيـفـيـــــــــس : هات! اطلع بهم! ماذا تخبئ في هذه الحقيبة الجلدية؟ أرني سأقطعها من حزامك " **يقطعها بالخنجر** " هذا أسهل. ماهذا؟! لؤلؤ!!

الرجـــــــــــل : " **مرعوباً** " تحويشة العمر يا كابتن. أحملها دائما معي، حتى لا يأخذها أحد مني.

تيفيــــــــــس : تحويشة ثمينة. تساوي عشرون ألف دراخمة. كنت شاطراً في المساومة معي، لقد غلبتني، لذلك سآخذ هذا منك. أنت تمتلك المثل والقيم العليا، يكفيك ذلك، أنت لاتحتاج للؤلؤ.

الرجـــــــل : كابتن!

تيفيــــس : مـاذا تريد يا رجل؟ لماذا تضع يدك على الحزام؟ رجل ذومبادئ، يكون أسوأ كثيراً في القتال عن رجل بلا مـبـادئ. أترى هذا الخنجـر؟ إنه يقـفـز بنفسه من يدى. لقد جئتَ إليّ يا رجل بقدميك، وها أنا ذا أمـامك، الكابتن تيـفـيس بشـحـمـه ولحمه، الذى سوف ينفـذ مـا يدور فى رأسك من أفكار، بيـديه الملطختـين بالدم. تعـال مـعى يا صـديقى إلى كـابينة الكابتن، وسـوف تشـهـد بعـينيك هذه الليلة الحـريق فى مـعـبدك وألسنة اللهب تتـصاعـد منه، كـمـا ترانى الآن فى حـالة انتشا ء. إلى الكابينة أيها المجنون الأحمق! سوف أبتلعك مـثل الشنابس! اسـتـيـقظوا يا رجـال! استيـقظوا أيها البحارة! أيها المرشدون اليـقظون! اللؤلؤ فى أيدينا!! **"صـيـحـات شجـار متـداخلة "** هذا جمـيل رائع يا حيـواناتى الشرسة! تشـاجـروا أيها الكلاب! عضّوا بعضكم بعضـاً أيها الذئاب الشرسة! أرى شخصـين آخرين قـادمين من آبديرا، يرتديان مـلابس فـاخرة نبـيـلان يتـبـخـتـران بأيديهم الناعمة. ماذا تريدان؟

الرجل الثانـــــى : أسال عن الكابتن تيفيس.

تيـفـيـــــــــس : إنه يجلس أمـامك. انتظر يا رجل، يـجب أن آخذ جرعـة سخيـة من الشنابس. أرى الشخص شخصين عندمـا لا أشـرب الكفـايـة. جئـت من بلدة آبديرا ؟ أنت من سكانها ؟

الرجـــــــــل : تمام. أنا من آبديرا.

تيفيـــــــــس : أنت مؤمن بالمثل العليا، معى الحق؟ بالقيم الرفيعة التى تحترم العقل.

الرجـــــــــل : إننى أؤمن بوطنى.

تيفيـــــــــس : فكرة مثـالية عظيـمة. سليـمة تماما. يـمكن بهـا عقد صفقات طيبة. جمعت من وراءها الكثير من المال. وماذا تريد؟ عملية قتل متقنة؟

الرجـــــــــل : حريق يا كابتن.

تيـفـيـــــــــس : حـريق أيضـا!؟ الحـرائق، سلعـة رائجـة هذه الأيام. عليـها طلب كثير! فى معبد جاسون، معى الحق يا صديقى؟ الرجل : الحق كل الحق. فراسة مدهشة يا كابتن!

تيفيـــــــــس : كم هبتى؟ كم قيمة المبلغ؟

الرجـــــــــل : ستمائة دراخمة.

تيفيـــــــــس : ستمائة دراخمة. هل تسمعنى يا شنابس؟ الطلب

علينا يزداد، والسعر يرتفع.إنهم يحتاجون إلينا
أكثر فأكثر.هذا حسن، حسن وطيب. ومن ذلك
الشاب الذى يقف هناك؟

الرجـــــــــل : ابني. إنه ابنى. يدرس فى الجامعة.

تيفيـــــــــس : عظيم! وماذا يدرس؟ وماذا يدرس ابنك؟ مازال
أخضر العود.

الرجـــــــــل : الحقوق. يدرس الحقوق.

تيفيـــــــــس : أب طيب. أب مهتم بأولاده، يرعاهم، ونعم الراعى!
منتهى العقل والحكمة أنك أحضرته معك. على
الابن الذى يدرس الحقوق، أن يعرف كيف تضيع
الحقوق. سأحتفظ بابنك هنا، معى على ظهر
السفينة ومع الشنابس.

الرجـــــــــل : " **منزعجا** " إنه ابنى الوحيد!

تيفيـــــــــس : سأجعل منه وغداً، رجلا حقيقياً! لك وطنك
المحترق، وسأضيف ابنك على فاتورة الحساب.
اذهب يا رجل، تتملكنى رغبة فى أن أغرز هذا
الخنجر فى بطنك. أنت محظوظ، فالشنابس اليوم
ليس قويا!لقد جاءنى من إيفيسوس، قربان للألهة
ديانا. سوف ترى معبدك مشتعلا كالقش الجاف
بينما أرقص أنا وأصفق من هذا الوهج، الذى سوف

أراه من على سفينتى. إلى القارب يا رجال! هيا أيها البحارة الأوغاد اسبحوا إلى الشاطئ، والخناجر بين أسنانكم، وأجسادكم العارية تلمع من الزيت، يا أسماك القرش! التى تستجيب لأوامرى، والتى تنفّذ عمليات القتل بغمزة من عينى، وبتقطيبة من جبينى يشعلون البلدة بأكملها! إلى الشاطئ! إلى الشاطئ! أشعلوا لى هذا المعبد الذى يمارسون فيه الكذب والنفاق! أشعلوه كالقش!! "

أصوات أجراس وأبواق المطافئ "

حـــــــارس : حريق! حريق! يا رئيس المطافئ بيروبس، حريق! معبدلاتونا يحترق!!

بيرسيـــــوس : ماذا؟ معبد لاتونا؟ كله خشب قديم متهالك. أعطنى الخوذة! والسترة! والبوق! انفخ! أكثر! أكثر يا رجل بكل طاقتك!

حارس آخــــر : معبد جاسون يا ريس! معبد جاسون يحترق! بيروبس هو أيضاً؟ انفخوا يا رجال! انفخوا! إنها وليمة حرائق! ألسنة نيران اللهب تتراقص! والشرر يتطاير! إنها نهاية العالم! لقد تحول الليل إلى نهار! رجل المطافئ بوليفيم ورجل المطافئ بيرسيوس، تعالا فوراً.

رجلا المطافــــئ : تمام يا ريس!

بيرويـــــــس : بوليفيم، اذهب مع نصف القوة إلى معبد جاسون! وأنت يا

بيرسيوس، مع نصف القوة الآخر إلى معبد لاتونا!

فورا! وفى الحال! هيا!

بيرسيـــــوس : إننى عضو فى حزب الظل يا ريس! لا يمكنك أن تطلب منيأن أذهب لأنقذ معبداً، تتعارض أفكاره مع أفكارى، وأتمنى من صميم قلبى أن يشتعل حتى آخره.

بوليفيـــــم : وأنا حمّار. مُثلى تمنعنى من إنقاذ معبد جاسون.

بيرويـــــس : إذن، فليذهب كل منكم إلى المعبد الذى يريد أن ينقذه،بحق الشيطان! وبسرعة! الريح قوية! البلدة كلها تحترق! بسرعة!

حـــــارس : البلدة تحترق! البلدة تحترق!

بيرويـــــس : إلى العمل! إننى آمركم! إلى العمل! البلدة تحترق من كل ناحية! النار تلتهم البلدة !

بيرسيـــــوس : مبادئنا يا ريس! مُثلنا! قيمنا! يجب أن تفهم ذلك. يجب على أن أخُلص وأحافظ على مبادئ حزب الظل : لا مساعدة لحزب الحمير! كل المساعدة لحزب الظل!

بوليفيـــــــــم : إن قناعتى يا ريس، كحمّار متعصّب، تمنعنى من أى استثناء، مهما كان الثمن!

تيـفـيــــــــس : آبديرا تحترق! آبديرا تحترق! كوم من الرماد! وتيفيس يرقص على السفينة منتشيا باللهب! كل شئ فيك يا آبديرا يحترق : آلهتك، ضفادعك، صفقاتك، وغباءك!هاهم أهلك يقفزون من الفراش مفزوعين، يصرخون ويلعنون ويبكون. فى هذه اللحظة ينسون كلّ مُثلهم ومبادئهم وقيمهم، وينسون قضية الحمار وظله! يبزغ القمرأخضراً وسط نارك الحمراء يا آبديرا، ويتصاعد الدخان إلى السماء! إلى السفينة أيها الثعالب، الذئاب، النمور، إلى السفينة يا رجال!

إيريـــــــــس : " **وهى يائسة** " تيفيس! كابتن تيفيس!

تيفيـــــــس : من هناك؟ أهلاً إيريس، خطيبتى من آبديرا، الأرملة المتفحّمة لماذا تصرخين نحوى هكذا ؟

تيفيس يغرق فى البحر

ببراميله المليئة بالخمر والزيت

بلؤلؤه ونسوانه،

بشنابسه وبسكره الدائم.

تندفع سفينته فى

لا نهاية المحيط
وفى سمو النجوم الصاعدة.
سوف أكون النار التى تبيدكم
العدالة التى تستحقها هذه البلدة
وسوف تأتى وباستمرار
سوف أكون جهنم أعمالكم التى ارتكبتموها
والتى تتمنونها فى أحلامكم!
والآن يتلألأ البحر فى ضوء أحمر
من البلدة التى تحترق
وتتحول إلى كومة رماد
سوف تبقى منها الأعمدة والأحجار
التى لا سيعرف اسمها أحد.

أيريس : تيفيس! حبيبى تيفيس!

تيفيس : سأرحل بعيداً عن كنوزكم
وسوف تغرقون فى النسيان
ضاع الحظ وضاعت فرصة الإنقاذ
وأنا لا أكترث بالخلود

فيليبيدس : هكذا كانت النهاية. آبديرا لم تدخل فى الموضوع واحترقت تماماً. وها نحن نقف وسط ركام البلدة، وجها لوجه، كأشباح ليلية تحت شمس قاسية، تسطع علينا، وتظل تسطع.

بيليـــــاس : لم يبق سوى الحيطان السوداء.

كروبيـــــل : أصبحت النوافذ كهوفا فارغة.

ماستاكـــس : ما زال الجو مليئاً بالدخان.

تيليزيـــا : البانيو الأسود من كورينث انكسر قطعتين. ليس بمرمرأصلي. كل شئ مغشوش هذه الأيام.

استروبيلـــوس: احترقت ضفادعي المقدسة. شُويت.

آجاثيرســوس : معبدي ما زال يحترق. خشب أرز ممتاز.

استروثيـــون : احترق بيتي، وضاعت عيادتي، ولا أود أن أتحدث عن زوجتي.

آنثراكـــس : وأنا لم يعد عندي ولا حتى بدروم أعيش فيه.

ماستاكـــس : من يأتي هناك؟

آجاثيرســوس : وسط ميدان السوق؟

بيليـــــاس : انظر!

استروبيلـــوس : الحمار! حمار آنثراكس!

فيليبيـــدس : سعيد الحظ! فَلَت من اسطبله المحترق!

ماستاكـــس : هو السبب في كلّ ما حدث

كروبيـــــل : هو المجرم!

بيليـــــاس : الوغد!

آجاثيرســوس : النصّاب!

ستروثيـــون : مُشعل الحرائق!

الجميـــع : اقتلوه! اقتلوه!

صيحات وصرخات. الحمار يجرى مسرعا"

الجميـــــع : هناك! هناك! امسكوه! قيّدوه! اقتلوه! قطّعوه!

آنثراكـــس : حمارى! أريد حمارى!

الحمـار : اسمحوا لى، سيداتى سادتى، اسمحوا لى، من قبل أن يطعنوننى بخناجرهم، ويمزقوننى بكلابهم، أنا حمار آنثراكس، الذى هرب بجلده المحترق مفزوعاً، أجرى وسط حوارى آبديرا المشتعلة. أعرف أنه غير مألوف أن تسمعوا حماراً يتكلم، لكن اسمحوا لى سيداتى وسادتى، أن أوجه إليكم سؤالا. وبما أننى الشخصية المحورية فى هذه المسرحية، لا تغضبوا منى، وأجيبونى بصراحة، دون حرج، حتى أفهم سر تعاسة أهل هذه البلدة، قبل أن أموت

هل كنت أنا الحمار فى هذه المسرحية

موسيقى

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٠٩٤١

طبع بمطابع



عندما نقرأ مسرحية تمتعنا.. نفهم عالمنا.

إننا نرى إنعكاساً ليس بليداً لذواتنا، التى ربما لسبب أو لآخر قد أصابها التبلد.

نتطابق مع شخصياتها فنصحو، وكأننا كنا فى غفوة. يهتف فى داخلنا هاتف: «لقد كنت أدرك هذا الشىء. أما الآن، فإننى أعرفه». ثم سرعان ما ينساب شلال من الأفكار.

أفكار هى دم ولحم. نار وأوكسجين. إنها وقود الشخصيات التى نراها ضمن عملية تكتشف، وتعيد اكتشاف العالم. وهكذا إلى ما لا نهاية.

د. سامح مهران

